نوّار

نوّار خامس شهور السنة ، وكأنه يد الطبيعة السخيّة مبسوطة بأصابعها الخمس وعليها خيرات الارض وبهجة السماء .

ونوّار هو الينبوع تفجّر من اعاصير الشتاء وسيوله ، وثلجه ووحوله ، مستحلباً من التراب دماءه ، ومن الصخر رواءه ، ومن المعدن دواءه .

هو للنحل ، حلمُ العسل ، وللحقل ، آخر امل . اذا أعطى احيى ، واذا امسك أمات . ففي يده الموت والحياة .

وهو في البستان ، قلبٌ ولسان ، ينفرج الاول عن اسرار آذار وينكشف الثاني عن اساطير نيسان .

ونوّار ، بلبلٌ هنا وهناك كنار . للشعر قافيةٌ وللموسيقى قرار . تستمدّ منه الارض زهورها ، والزهورُ عطورها ، والقلوب نورها .

للربيع آخر قطرة ، وللصيف اول جمرة .

هو شاعر الشهور ، وحكيم البذور ، غذاها طفلة ، ويرعاها حبلى . تلعثمت الطبيعة في آذار ، وأفصحت في نوّار .

نوّار ، نونه نضار ، وواوه ولاء ، ألفه أمل وراؤه رجاء .

هو الشباب اكتمل ، على شفتيه نضجت من الشمس القبل ، واختمر على وجنتيه الغزل .

وهو الحبّ في كماله ، جمع بهجة شعوره الى اتّزان خياله ، ومشى من فورة الفتوّة ، الى هدوء القوّة .

فنوّار ، عاشقٌ جبار ، على وشاحه المخضب بالارجوان ، دماءُ نيسان ، وعلى صولجانه ، طغراء سلطانه .

نوّار ، حلم النبات والازهار ، وسيد الطبيعة المختار .

الياس ابو شبكه

اديب في السوق

بقلم عمر فاخوري

منذ خطر لي ان اجعل عنوان هذا الحديث : « اديب في السوق — او صيد يوم[1] » واستقر هذا الخاطر في ذهني، تمثلتني مسلحاً بكل اداة صيد : صيد البر وصيد البحر ، اعدو في زحمة المدينة، خلف طيوف وشخوص ، واساطير ووقائع ، ورموز وحقائق ، مما تتألف منه هذه الحياة التي نحياها ، او هذا الوجود الذي نضطرب فيه . ثم رأيتني ، وقد ادركتني العتمة ، عائداً ادراجي الى البيت ، وانا مثقل كالنحلة ، بجعبة جديدة من دنيوات لا عهد لي بها من قبل .

وبالفعل ، طاوعت نزوة خاطري ، انا المتردد الكسول الذي لم يخرج عمره مرة ، الى الصيد .. وهكذا وجدتني على الرصيف، باسرع من لمح البصر ، مدفوعاً بقوة لا راد لها ، كأنما تحركت في سويدائي بغتة ، طباع آبائنا الأولين الذين كانوا ، على حد قول العلماء، قناصة صيادين ، قبل ان يمارسوا الفلاحة والصناعة والتجارة والتوظيف والجندية ، وسواها من المهن — حرة وغير حرة (وما كان منها حراً ففي دائرة ما ، وما لم يكن حراً فالى حد ما .)

ولكن ائذنوا لي هنا ان اقطع سياق الحديث، لاقص عليكم نبأ تجربة اولى من هذا النوع ، لست ازعم انها كانت موفقة الا اذا كان الصياد الذي يخاف الشماتة اذا رجع خالي الجراب ، فهو يشتري صيده شراء بدراهم معدودات ، يعد موفقاً . هي تجربة دفعت اليها بعامل بسيط جداً ، لا صلة له بالكبت ولا بوراثة الطباع الوحشية عن انسان الغابات والكهوف : لقد اغرتني بها هذه النظارات التي ركبت انفي ، وتعلقت باذني ، واصقت بذاتي ، حتى لاكاد انسى احياناً انها من اشياء مستعارة في حياتي .

كان ذلك لسنوات خلت . وكان اول عهدي بحمل النظارات اعالج ضعفاً في البصر طال العهد به ، واعتقدت اعتقاداً جازماً بانه حرمني فوائد وملذات عديدة ، لا يحصيها العد . ما اكثر ما منيت النفس بان اشهدها ، بفضل زجاجاتي الحادثة ، ما لم تكن تشهد من حالات وحركات ، وان اريها ما لم تكن ترى من خطوط والوان ، فكأنها كانت تعرف الحياة جملة ، فستعرفها تفصيلاً ، او كانت تكتنه الوجود مختلطاً في ابهام وغموض ، فستكتنهه تفاريق في دقة ووضوح .

لقد كان ذلك اليوم يوماً تاريخياً في حياتي . انا رهين الكتاب ، ساعرف الهواء الطلق . سأخرج من محبسي ، كما تخرج فراشة الحرير من شرنقتها .. وجلست في الترام مزهواً مبتهجاً ، انظر يمنة ، ثم انظر يسرة، كمن يفتح على الكون عيني طفل جديدتين .

ماذا كانت نتيجة صيدي ، في ذلك اليوم السعيد من ايام العمر ؟ لقد دونت خبرتي الاولى ، كما يعلق الصياد على جدران بيته رؤوساً وجلوداً من حيوانات اصطادها .. او لم يصطدها هو . دونتها في وريقات طفت على لج الزمن ، كما تطفو حطام السفينة الغريقة — قلت :

« اني منذ اسبوع، اذهب كل يوم ، الى قهوة « الحاج داود » كي امتع النظر بصورة معروضة في ركن من اركانها : هذا العجوز الجالس الى طاولة ، وهو يبكي .. يبكي باصرار ، حتى اني ،اول مرة رأيته ، كدت لشدة ما رثيت له ، لا اقبض يدي التي همت ان تنبسط الى يده ، فتهزها بلطف ، معزية مشاركة في المصيبة . هو حزين ، جد حزين ، كأنما نعيت اليه نفسه .. ويلعب بالنرد ، ولا يمسح دموعه . ماذا ؟ أتريدونني على ان اصف لكم ذلك الحزين بلا حزن ، الباكي من غير دموع ؟ .. ان لساني لعاجز عن تمثيل تلك الصورة الفنية البديعة ، بل عن تناولها بشيء من الوصف .. حسبكم ان تتمثلوا شجرة من الصفصاف المتهدل الاغصان ، الذي يلقبه الفرنسيس بـ « البكاء » او ان تتصوروا سماء تمطر ولا ماء .. فهذا وحده قد يوحي الى الذهن بعضاً من مزايا الآية الخارقة . »

ويجب الان ان انسلح بكل صفات الرجولة ، كي اقول لكم كيف انتهى ذلك العرض من صور اصطدتها ، لاول عهدي بالادب « الحي » المستمد من الواقع او « الطبيعة » . قلت بصوت بعيد القرار : « هنالك المستحي ولا حياء ، والمتعجب من غير عجب ، وهنا .. هنا سمعت قهقهة ، فالتفت ، فاذا بالعجوز الباكي ولاد، وع كانه يضحك — بل هو حقاً يضحك من خصمه في النرد . بل كيف اقول انه يضحك ، بينا هو لا يزال يبكي ، ولا ينى يزيد بكاء ،

(1) من كتاب بهذا العنوان يصدر قريباً في منشورات مجلة «الطريق»

كالصفصاف المتهدل الاغصان .. بكت السماء وقهقه الرعد ! »

وليت القصة انتهت عند هذا الحد . لا ، اذ يلوح ان صاحبنا الصياد لم يرجع الى بيته الا ليعود الى الكتاب ، كما تعود فراشة الى شرنقتها ، وهو ما لم يشهد مثله التاريخ الطبيعي . عاد الى الكتاب ، فقرأ في « الفائق » للزمخشري ما نصه : « الحجاج — كان قصيراً اصعر كهاكها . والكهاكه ، لغة ، الذي اذانظرت اليه كأنه يضحك وليس بضاحك . من الكهكهة . » فصرخ بملء فيه : «اوريكا .. وجدته . كأنه يضحك وليس بضاحك .. كأنه يبكي وليس بباك . هي الصورة التي اصطدتها من قهوة «الحاج داود» على سيف الابيض المتوسط .. الآن عرفته ، لاني وجدت له اسماً يغني عن جميع الاوصاف التي لم اجدها . » ستهتفون بي : « انها عبقرية اللغة العربية . » هي ، على الاقل ، طبيعتها وطبيعة سائر اللغات ، على ما نرجح . لو شئت ان تمثل انساناً يبكي او يتصنع البكاء ، تقول : « كه كه كه » برنة حزن .. ولو شئت ان تمثل انساناً يضحك او يتصنع الضحك ، تقول ايضاً : « كه كه كه » برنة فرح . ولطالما رأينا المغرب في الضحك تغرورق بالدمع عيناه ، كما نشهد على الشاشة البيضاء ، الممثل القادر الذي يبلغ الحزن منه لضرورة الموقف ، آخذاً في القهقهة (او الكهكهة) ويسمون هذا النوع بالضحك الهستيري .

ذلك ما كان من شأن تجربتي الاولى في الصيد الادبي . فلم اكن متواضعاً اذ قلت لكم منذ البداية ، انها لم تكن موفقة الا بقدر ما ينسب الى التوفيق ، صيد الصياد المشتري . فالصياد المشتري يعد موفقاً اذا لم يدفع ثمن ما .. لم يصده ، غالياً . وكانت خاتمة هذه التجربة ، انى وقعت في شباك الفاضل الزمخشري ، فوقف ذلك الكهاكه ينظر ، ويضحك حقاً وصدقاً ، بين دفتي القاموس .

لنعد الان اذا اذنتم ، الى نفسي التي تركناها على الرصيف ، معتزمة المضي في تجربتها الثانية ، فقد املها الانتظار ، بينما طباع انسان الغابات والكهوف تجيش في سويدائها ، كما لم يسبق له مثيل .

.. اذن ما كدت اخطو خطوة على الرصيف ، حتى رأيت الى جانبيّ ، على غير انتظار ، جارنا المصور الارمني الجوال ، وكأنه بكر على غير عادة ، لينافسني في مهنتي الجديدة ، منافسة غير حميدة ، وهو حامل تلك « السيبا » المشؤومة التي يشنق عليها صور الخلق او اشباحهم .. وطفق يوازن بين مشيته ومشيتي ، وحسبت حيناً انه ينظر اليّ في شي من الاستخفاف ، فتحولت لفوري ، الى الرصيف الاخر .

وهنالك بصرت بآدمي حسن السمت والهيئة ، يمشي على طرف الرصيف كبلهوان على حبل ، متباطئاً ، متريثاً ، بخطى قصيرة متزنة ، كالمتفرج بكل معنى الكلمة — المتفرج الذي لا شيء وراءه ، ولا شيء قدامه ، لكن عنده كل الوقت . ولما حاذيته رأيته يفرك يداً بيد ، في حركة طوعية طبيعية ، لاتدري اتنسبها الى الاضطراب الشديد ام الى الفرح بلقية ثمينة . وسمعته يتمتم بين شفتيه بكلام لم اتبينه ، اول وهلة ، خيل اليّ انه قريب من سجع الكهان .. كان هذا الآدمي يقول بصوته الخافت كمن يخاطب نفسه : «في دنيا الكدح هذه .. ليست الحياة لهواً ولعباً .. في دنيا الكدح هذه .. ليست الحياة لهواً ولعباً .. » وهو يخافت بهذا الكلام ، ثم يرجعه ، كالصوت وصداه . لعلها حقيقة يريد ان ترسخ في ذهنه ، اشدما آذته واوجعته في الماضي ، فكأنه يطمع بان يثبتها الان في صفحة الكون ، فلا هو ينساها ، ولا يغفل عنها احد . بل لعله موسوس تلقف هذه العبارة من واعظ او ناسك او معلم اخلاق ، فهو يتسلى بها كالمسبحة .. وهنا ، كأنه احس وجودي ، وفطن الى ما يدور بخاطري ، فالتفت نحوي مبتسماً ، وغمز بعينه غمزاً خفيفاً يكاد لا يرى ، كأنه يسألني : « ماذا ؟ » ويسألني : « كيف ؟ » ويسألني : « متى ؟ » في وقت واحد . فكأني واياه على موعد ، كي يطرح عليّ جميع هذه الاسئلة ، دفعة واحدة ، في ظل ابتسامة على وجهه النحيف ، وفي بريق غمزة من عينه الساجية . وكان الجو حولنا مترعاً بكهربائية ذلك الكلام الغريب : « في دنيا الكدح هذه .. ليست الحياة لهواً ولعباً .. » فشعرت بحراجة الموقف ، وخجلت من فضولي ، وخفت سوء العاقبة . اخذت ابحث ، بكل قواي ، عن المخرج . قلت بعد تردد قصير : « كم الساعة ، ارجوك ؟ » فذهبت ابتسامته عرضاً حتى هم ان يضحك ، وازداد بريق عينيه حتى اوشك ان يمطر ، وكاد لا يملك نفسه من الفرح ، كأنه يترقب هذا السؤال ليثأر من فضولي .. قال متلطفاً : « الساعة ؟ . على وقتكم او على وقتنا ؟ » قلت : « فهمت .. » وانصرفت عائداً ادراجي . وبعد دقائق كنت في البيت . حسبي من صيد النهار هذا الآدمي الذي لا يقدم ساعته ولا يؤخرها ، رغم قوانين الحكومة .. هذا الآدمي العجيب الذي يبدو غير مرتبط بزمننا . لله ما اعظمها وانفسها واغربها صيدة !

عمر فاخوري

ثلاثيات

في الثغر

◆

يا ثغرها يا ورقتي وردة ... حمراء ارواها ندى عاطر
رفّت عليها بسمة هاجها ... شوق الى عهد مضى خاطر
أو قبلة بالوهم جاء بها ... ممّن احبّت نسم عابر

• • •

ياقوتة نادرة شقها ... على لآلٍ صائغ ماهر
لم يرسم الفنّ شبيها لها ... وما رآها في الرؤى شاعر
يفترّ في حمرتها مبسم ... حلو رقاه للهوى ساحر

• • •

يا دعوة للحب ، وعداً بما ... يصبو اليه الشرب والسمّر
مأدبة انغامها والطلا ... منها ، ومنها الطيب والكوثر
وكوبها والورد من حولها ... ورفرف من شعرها أشقر

• • •

يا ثغرها الريّان يا فتنة ... قائمة من عهد حواء
أورثها التفاح طيباً على ... طيب وتغريرا واغواء
لم تترك الجنة صفر يد ... بل أخذت بالسر اشياء

يوسف غصوب

ثــورة المــوالي

بقلم مارون عبود
مدير الجامعة الوطنية بعاليه



فانك ماء الورد ان ذهب الورد .. ما اصدق هذا القول على الادب . فالادب خلاصة عقل الامة يـدل الاواخر على السبل التي اختطتها اوائلهم ، وما مروا به من اطوار . يبدو الهرم ويستولي الفناء على آثار الامة وبقاياها ما خلا الاصيل من ادبها فهو لا تفارقه نضارة الشباب لانه ابن الحياة الحي .

ان هذه الثورات التي تضطرم في كل حقبة دليل على ان الادب كائن حي فهو ابداً في تفاعل كعناصر الحياة الاخرى . اذا واءمته الانواء برعمت غصونه الهاجعة وازهرت واثمرت ما يموت وما يعيش . سنة الحياة الخالدة التي تحارب ابناءها فلا يثبت في جبهـة النضال الا الاشد الاشد .

يتأثر الادب بالحياة لانه وليدها ويصعب الاختراع فيـه لانه صورة عنها وهي لا تتغير الا بمقدار ، ولهذا تقل الاكتشافات فيه ، ويظل قديمه متصلاً بجديثه ، فهو يتمشى تمشي السلالات والانواع ، وينمو نمواً حسابياً لا هندسياً . فالاديب الحق هو المصور الحاذق تلتقط ريشته المشاهد الرائعة فتمسي في محبس الفن لتتمتع بجمالها الحواس دائماً وابداً . فانك ماء الورد ان ذهب الورد .

مضى ذكر الملوك بكل عصر وذكر السوقة العلماء باق هكذا قال شاعرنا . وان آثرنا الصدق ولم نذهب مع الشعراء في كل واد قلنا اخلد الملوك واسيرهم ذكراً من نفقت عنده بضاعة الادب . وليست الدول العظمى احرص على ذكر ملوكها منها على ذكر ادبائها ، فهم سجل مجدها الباقي ومؤثلو ملكها ، فحيث تلقى بذور اداب امة ينبت النفوذ والسيطرة ، فما تأثر بعض الامم ببعضها تجارياً وصناعياً باقل منه عقلياً ، ففي الحياة مجار خفية كالمناجاة لا يلتقطها الا ذهن الاديب لانه اشد احساساً من زجاجة المصور الشمسي .

تقع الثورة في الادب فتظنها طوفاناً عرمرماً وتحسب ان الساعة قد دنت حتى اذا لفظت العاصفة آخر انفاسهـا وطلعت الشمس ضاحكة بدا لك غير ما كنت تتوهم انه كائن . فهذا الثبـات يدلك على خلود الادب فلا تأخذ منه الثورات الا كما تأخذ السيول من الجبال الصلدة . فالادب الحق ، وهو نـذر جداً ، هو آخر صفحة تمحوها العوادي من تواريخ الامم والشعوب . وهي اشد آثارها الاخرى صبراً عليها .

قد يقول قائل هنيئاً له ما افضى باله ، يحدثنـا عن الادب وثوراته في هذه المعامع . الدنيا قائمة قاعدة وهو غارق في هـذره وسخفه . فليحدثنا عن المفاجآت الحربية ، عن الخبز والملح ، عن الرز والسكر .

اما الجواب فهو اني لا اصلح لا لهذه ولا لتلك . تعنيني الثورات الادبية ، فأصحابها هم الذين وضعوا المثل العليا التي تناضل عنهـا الدنيا قاطبة ، وتقوم الحروب في كل عصر تحت الويتها .

كل اديب ثائر ، والاديب الهادىء لا يهدم ولا يبني بل هو من الذين تجرفهم شبكة الصياد فتخرجهم من بحر الحياة العجاج الى المقلى او الى الفرن ليتغذى بهم الحيتان الصالحون للبقاء .

* * *

ان اول ثورة ادبية عربية اوقد نارها اديب اعمى مستعرب ، وكأنه نظر بعين الغيب الى اثره في الادب فقال بيته الذي تتمثل

به الآن .

اعمى يقود بصيراً ،لا ابا لكم　　قد ضل من كانت العميان تهديه

لا يا بشار ، ما ضل من يقوده اعمى مثلك ، وكم من اعمى قبلك وبعدك رأى ما لم نر نحن البصراء. فانعم بالا .

اسمع الكثيرين يقولون لماذا زعّم القدماء بشاراً ، وماذا رأوا فيه حتى اقروا له بزعامة لا خلاف فيها . فالذين لا يدركون ما غمض ودق يقولون كان لبشار لسان كالسوط فالقى الرعب في نفوس العلماء والرواة — والرواة هم نقاد ذاك العصر — فاعترفوا له بالسبق خوفاً ورهبة . ثم صار الباطل حقاً كما يصبح الكذب في رأس قائله متى تقادم عهده ، هكذا ثبتت زعامة بشار كما ثبتت زعامة الحريري مثلاً .

ان هنالك لشيئاً غير ذلك ، ان هنالك لفناً ليس رمية من غير رام ، فبشار زعيم ادبي رغماً عن وطأته الثقيلة . ففي ذلك الجسم الجاموسي نفس فتية ما رأى الادب العربي مثلها . نفس ادركت عفواً ان الادب ابن البيئة فتحسست بيئتها تحسساً فكان لها من كل اصبع الف عين . رأى بشار بانفه واذنيه ولسانه ما لم تره ملايين الناس باعينهم ، وهو من العباقرة الذين سبقوا دهرهم دهوراً .

اراد بشار ان يكون لعصره ادب غير ادب الجاهليين والامويين فتعمد ذلك ووضع معالم فنه صامتاً . لم تكن له نفس ابي نواس المرحة ولا حريته الواسعة ،ضيق عليه عماه فانطوى على نفسه متأملا فاخرج فناً شايعه عليه ابو نواس وغيره فكان ادب المولدين ، وهذه الحكاية تؤيد ما نزعم :

قال الاصمعي كنت اشهد خلف بن ابي عمرو بن العلاء وخلفاً الاحمر يأتيان بشاراً ويسلمان عليه بغاية التعظيم ، ثم يقولان يا ابا معاذ ، ما احدثت . فيخبرهما وينشدهما . ويسألانه ويكتبان عنه . فاتياه يوماً فقالا له ما هذه القصيدة التي احدثتها في سلم بن قتيبة ، قال هى التي بلغتكما . . قالا بلغنا انك اكثرت فيها من الغريب . قال نعم ، بلغني ان سلماً يتباصر بالغريب فاحببت ان اورد عليه ما لا يعرفه . ثم انشدهما القصيدة ومطلعها :

بكرا صاحبيّ قبل الهجير　　ان ذاك النجاح في التبكير

فقال له خلف الاحمر لو قلت يا ابا معاذ مكان (ان ذاك النجاح) (بكرا فالنجاح) كان احسن .

فقال بشار اني بنيتها اعرابية وحشية فقلت (ان ذاك النجاح) كما يقول الاعراب . ولو قلت (بكرا فالنجاح) كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة .

فقام خلف وقبله بين عينيه . وشاء خلف الاخر ابن ابي عمرو بن العلاء ممازحة بشار فقال له : لو كان علاثة والدك يا ابا معاذ ، — اي لو كان عربياً — لفعلت كما فعل اخي ، ولكنك مولى . فمد بشار يده فضرب بها فخذ عمرو بن العلاء وقال :

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته　　فانه عربي من قوارير

ما زال في كير حداد يردده　　حتى بدا عربياً مظلم النور

ان جاز اباؤه الانذال في مضر　　جازت فلوس بخارى في الدنانير

ارأيت مثلي ان بشاراً كان في فنه متعمداً وانه زعيم مدرسة حقاً ، انه لا ينظر ابداً الى مواد الجاهليين في هجوهم ، فكل مواده مأخوذة من بيئته ومما تتناوله يده من محيطه . انظر كيف تناول صوره من زمانه واخرج منها هجاء مراً . فلبشار مدرسة زاهرة لا بأس علينا ان سميناها مدرسة الخلعاء . فللادب العربي كغيره من الاداب الإخرى شعراء ملعونون ، وقد ذكرهم ابو الادب العربي فقال :

كان والبة بن الحباب ومطيع بن اياس وابن المقفع وحماد عجرد وبشار المرعث وابان اللاحقي الخ ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر لا يكادون يفترقون ، يهجو بعضهم بعضاً هزلا وعمداً وكلهم متهم في دينه .

فهؤلاء اضف اليهم ابا نواس واترابه هم الذين احدثوا اول ثورة في الادب العربي ، اما موقد نارها فبشار . وسنريك في قابل اثر بشار وزعامته فيها ، ثم كيف خمدت نارها قروناً حتى اتقدت في هذا العصر .

مارون عبود — عاليه

خطرات ساذج

« خطرات ساذج » كتاب ادب وتأمل وتفكير بعده الاستاذ خليل تقي الدين ويسر الاديب ان تنشر منه هذه الصفحات .

الواحة والحب

ما اجمل الواحة في قلب الصحراء !

هي الظل الوارف في الجحيم المحرق ، والري المحيي في الظمأ القاتل ، ودنيا الحياة على تخوم الموت ، والشاطيء الامين للساري والسائر .

الواحة ! حديقة غناء في خضم من الرمال ، وهبة النسيم في السعير اللاهب ، وابتسامة الخضرة في عبسة الجفاف .

ما المروج والجداول والرياض سوى كلمات منثورة افترت عنها شفتا الخالق .

واما قصيدة الله الكبرى فهي الواحة .

هي الطرفة في ما خلق وابدع .

حسب الواحة انها خصب في الجدب ، واخضرار في اليبوسة ، وحقيقة في السراب !

والحب هو الواحة في صحراء الحياة !

وفاء الارض

الارض ، من دون سائر الكائنات ، لا تكذب ، ولا تراوغ ، ولا تخفر العهود .

قد تكذب السماء فلا تمطر ، وتروغ الريح فتقتلع الاشجار ، وتعمي الابصار ، ولا تبقي ولا تذر ، ويخفر البحر عهد راكبيه فاذا صفحته الهادئة جبال تعلوها جبال ، وامواجه اكفان ، ولججه رموس ، وشطئانه الهانئة شفاه مزبدة تلفظ الجثث الباليات .

ويكذب الجدول فيغور ، والينبوع فيجف ، والغصن فلا يورق ، والزهرة فلا تعبق ، ولا تعقد ، ولا تثمر .

وتكذب الشمس فتتوارى ، والقمر فلا يطلع ، والنجوم فتغيب .

ويغدر الورد فيقدم لك الشوك والوخز بدلاً من الحسن والشذى

واما الارض ، الارض وحدها ، فهي التي لا تتبدل ، ولا تروغ ، ولا تكذب ، ولا تخون .

المنزل الذي تأوي اليه قد تتداعى جدرانه فيتهدم على رأسك .

واللقمة التي تزدردها قد تخفي في طياتها السم الزعاف .

والقميص الذي تلبسه قد يخنقك ، والحذاء الذي تنتعله برجلك قد يسير بك الى الهاوية ، والسرير الذي يضمك قد يصبح لحدك .

الولد الذي تقذفه من احشائك قد يسدد اليك الطعنة في الظهر او في الصميم .

والصديق الذي محضته الود قد يتغير ويجفوك ، والحبيب الذي احرقت البخور على قدميه في هيكل الحب قد يسلوك وينساك .

والنكرة في الناس الذي جعلت منه انساناً قد ينقلب عليك ذئباً ينهش ويفترس .

واما الارض ، الارض وحدها ، فهي الامينة الوفية ، وهي التي لا تنسى ولا تخون .

انظر الى الموت ، والزمان كيف يأتيان على كل شيء ، وكل احد ، من دون الارض .

كلما عصف الموت بجيل من الاجيال وطوى الزمان بعض صفحاته وقفنا على الارض نقول : هنا وقف قيصر ، وهنا مرت جحافل هنيبال ، وتلك طريق الفاتحين !

نقف على الارض ، ونستشهد بالارض ، والارض تضحك وتحفظ وتجيب ! .

واعظم ما في الارض انها البداية والنهاية . فعليها نقبل حين نستقبل الحياة ، واليها نأوي حين يستقبلنا الموت ، وهي في حالتي الاقبال والادبار ، لا تضحك ولا تشمت ، ولا تحول .

ايتها الارض !

قد يكون اعظم ما فيك انك كلما امعنا في عمقك زدت ثروة وجوهراً وعطاء . فما ابعد الشبه بينك وبين بني الانسان ! وقد يكون اروع مناظرك ، على روعتها كلها منظر الخراب والدمار يعلو سطحك والنار تلتهم كل ما عليك ، والقتلى والجرحى متناثرين هنا وهناك ، وانت ، في جلالك المهيب ، تهزأين بذلك كله ، وتفتحين ذراعيك لكل واقع وساقط ، وتتسعين لكل شيء ، ولكل انسان .

اليس عجيباً ان القنبلة التي تنفجر عليك تعمر بالموت كل شيء . فاذا فتحت فيك اتلاماً سخرت منها فتفجرت منك الحياة ! .

انت امنا حقاً ايتها الارض !

نأبين كنار

•

رباه ! ما الذي اسكت الكنار في هـذا الصباح ، وكناري يوقظ الشمس غناؤه ، وينبه البيت تغريده ، ويخلع على النهار الطالع ، تصفيق جناحيه ، وترجيع كراته ، بشرى ومرحاً وحبوراً .

وقاك الله السوء ياحبيبي ، وحماك من كل ضار وكاسر ، وخفف عنك عذاب الاسر ، ومتعك بنعمة السلوان ، في قفصك النحاسي هذا ، المعلق على الشرفة ، امام الاجواء الطلقة ، والحدائق الغناء ! .

ولما طال به السكوت قمت اليه ، فما راعني الا سكون في القفص لا عهد لي به ، وعهدي بكناري دائم القفز ، سريع الحركة ، يتنقل بين الجدران الاربعة ، والسقف ، والارض ، ككرة لاتهدأ ولا تستريح ، الا ان ينزل عليه الوحي ، فيقف ريثما يرسل الغناء ، ثم لا يلبث ان يعود سيرته الاولى .

ما لهذا القفص يعمر بالسكون بعد ان كان يعمر بالحركة والحياة ؟ .

ورأيتني امشي الى القفص ، وبي قلق وحذر ، كأنني امشي الى قبر ! .

حتى اذا اخذت القفص بكلتا يدي ، وادنيته مني تحققت المصيبة ، وفداحة الخطب .

رأيت الكنار ملقى على ظهره في ارض القفص ، ورجلاه مسبلتان ، كما ينام الاطفال ، لا كما تنام الطيور . والقيت القفص من يدي ، فانفتح بابه الصغير ، وما عليه اذا انفتح ، فلن يهرب الكنار بعد اليوم .

ثم حفرت للكنار حفرة صغيرة في الحديقة ودفنته بين الازاهر والخمائل والاوراق ، وقلت : لعل الموت يعطيه ما سلبته اياه الحياة .

يا كناري الراحل ! .

أتراك مت غماً ، ام انتحرت ، ام لج بك حب الحرية والانفلات فلم تطق على حياة العبودية صبراً ؟ .

ولكن ، يحيرني امر ، ويشقيني سؤال : أكانت تلك الاغاريد تملأ بها ارجاء منزلي اياماً وليالي وشهوراً برمتها غناء جذلان ، وزقزقة طروب ، ام كانت ، ونحن لاندري ، ترجيع كئيب ، وانات محزون ، وآهات يصعدها قلب دام فيطرب لها الناس ، بينا تذوب حشاشة الكنار ؟

بالله خبرني ياكناري الحبيب ؟! .

خليل تقي الدين

الى القراء

•

اصبح ثمن الجزء من الاديب ٧٥ غرشاً لبنانياً ابتداء من هذا الجزء . وذلك نزولا عند قرار جمعية الصحف الاسبوعية والمجلات بشأن رفع اسعار الصحف . فنرجو من قرائنا الكرام المعذرة .

●

— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً .

— قيمة الاشتراك :

في سوريا ولبنان : ٩ ليرات لبنانيـة . ولا تقبل الاشتراكات لهـذه السنة الا من الاماكن التي لا تباع فيها المجلة .

في الخـارج :

جنيه مصري واحد . ولصاحب الاشتراك في الخارج الحق في الحصول على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة .

— الادارة غير مسؤولة عن اعداد المشتركين التي تفقد في البريد .

— احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى (ما عدا الجزأين الاول والثاني) فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبهـا من الادارة .

— الادارة مستعدة لشراء اي جزء من اجزاء السنـة الثانية بـ ٥٠ غرشاً لبنانياً ، اذا كانت بحالة جيدة . وكذلك تدفع ليرتين لبنانيتين ثمن الجزء الاول او الثاني من السنة الاولى .

— المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

— توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان

« الادارة »

مشكلة المواصلات في المانيا

بحث لكارل براندت
تلخيص : رئيف خوري ، عن « مجلة الشؤون الخارجية »
عدد كانون الثاني ١٩٤٣

بين هذه الحرب والحرب الماضية

لا يكاد يحتاج الى ذكر ان قضية المواصلات هي من اشد القضايا اهمية في الحروب ، ولا سيما هـذه الحرب . ولذلك نرى جميع الزعماء والقادة يؤكدون خطورة ، شأنها في كل مناسبة . وما من شك ان ناحية الحوادث العسكرية ، في هذه الحرب ، قد غطت بعض التغطية على ناحية اخرى منها هي : ناحية الحصار ، فما ينبغي ان ننسى ان الحلفاء يضربون حصاراً متواصلاً على المانيا ، بينما تحاول المانيا بدورها ان تضرب عليهم ، ولا سيما على بريطانيا — شيئاً من الحصار ، و كل حصار لا بد له من توجيه الجهد ، الى ضرب طرق المواصلات ووسائلها عندالعدو ضربات شديدة فتاكة ، وفي الحرب الماضية لما دخلت الولايات المتحدة في المعمعة ضد المانيا صرح الجنرال لودندورف ، سنة ١٩١٧ ، بان حرب الغواصات ستقطع الشرايين عبر الاتلنتيك بين اميركا وبريطانيا ، وبذلك يقع الحصار على الجزر الانكليزية . ولكن المانيا ما لبثت ان خسرت حرب الغواصات ، ثم ضعفت طرق مواصلاتها وتضعضعت وسائلها .

فيمكن القول : ان مشكلة النقل والمواصلات عند المانيا كانت « القشة » التي قصمت ظهر الجمل في آخر الحرب الماضية . وشعور النازيين بهذه الحقيقة الخطيرة كان عاملاً من اهم العوامل التي حملتهم على الاخذ بنظرية الحرب الخاطفة وتطبيقها . لقـد خالوا ان ضجة سريعة تطرح اوروبا على اقدامهم وتعرض طرق المواصلات في الجزر البريطانية وفي الاتلنتيك لهجوم كثيف من الجو يكفل لهم كسب الحرب في الجبهـة الغربية ، ويقيهم شر حرب طويلة ينهار فيها جهازهم ، ولاسيا جهاز مواصلاتهم ، تحت عبئها الباهظ . على اننا نعلم الان انهم اخطأوا التقدير على جبهة الغرب ، كما اخطأوا التقدير على جبهة الشرق . لقد اخطأوا — على الاقل — تقدير الوقت .

وها هو التاريخ ، في هذه الحرب يكاد يكرر نفسه . فالمانيا لم تستطع ان تفرض على الحلفاء الحصار الذي كانت تتوخاه او لم تستطع ان تقطع شرايين مواصلاتهم في الداخل والخارج ، فخسرت معركة الجزر وخسرت معركة الاتلنتيك وعجزت عن ان تشل روسيا التي انقلبت فكالت لها ضربات مضعضعة . والآن ، كما في اخر الحرب العظمى الماضية ، تجد المانيـا نفسها محصورة وامامها مشكلة في مواصلاتها تشتد وتزداد تعقداً واخذاً بخناقها .

تقسيم المشكلة

فلنبحث هذه المشكلة ولنقسمها الى اقسامها ، ففي ذلك ما يسهل علينا تناولها وفهم حقيقتها .

ان المانيا بلاد صناعية بلغ مدى صناعتها شأواً بعيداً جداً . وكل بلاد صناعية لا تستغنى قط عن طرق مواصلات ووسائل النقل هي شرايين الحياة في البلدان الصناعية المتطورة .

وتنقسم طرق المواصلات ووسائل النقل الى اقسام ، بحسب ميدانها الذي تكون فيه ، أهو البر ، أم النهر ، ام البحر ام الجو . ولما كان الجو لم يصبح ميداناً للشحن كغيره من الميادين فنسقطه من البحث فنقسم حديثنا عن مشكلة المواصلات في المانيا الى ما يتعلق بالبحر ، ثم بالانهار ، ثم بالبر . .

المواصلات البحرية ووسائلها عند المانيا

لا شك ان المانيـا واوروبا النـازية قد انغلقت في وجهها المحيطات . على ان مقداراً كبيراً مـن الشحن البحري لا يزال مستمراً . فلدى المانيا البلطيك وجنوب بحر الشمال ، والقنال وشواطىء فرنسا جهـة الاطلنطيك ، وبعض المتوسط والبحر الاسود . و كل هذه نطاقات لا تزال تتناولها البحرية الالمانية وان تكن اساطيل الحلفاء تعمل فيها عملها القوي .

فما هو مقدار البحرية الالمانية ؟

لقد كانت المانيا تتوقع ان تستولي على مجموع اساطيل اوروبا التجارية على الاقل . وهذه الاساطيل يبلغ مجموع حمولتها حسب احصاءات سنة ١٩٣٩ ما يزيد على خمس وعشرين مليونا وثلاثمائة الف طن . ولكنها حسب احصاءات سنة ١٩٤١ ، لم تجد لديها من هذا الرقم سوى اثنى عشر مليونا وخمسمائة وثمانية آلاف طن . ولكنها حسب احصاءات سنة ١٩٤١ ، لم تجد لديها مـن هذا الرقم الضخم سوى اثنى عشر مليونا وخمسمائة وثمانية آلاف طن . ولا بد ان تكون بنت ، حسب معدل البناء عندها ، ما تقرب حمولته من ثلاثة ملايين طن . على ان خسائرها البحرية ، حسب الاحصاءات وما استطاع ان يستنقذه الحلفاء من اساطيل اوروبا ،

ضئيل الرقم الى ما لا يزيد الآن عن تسعة ملايين طن .

والمسلم به سلفاً ان فقدان المانيا لقواعد افريقيا الشمالية ، في هذه المرحلة من الحرب ، سيقفل في وجهها الملاحة في المتوسط ، لان الاسطول التجاري — ولا سيما الالماني — يعتمد على حماية الطيران . ولا تبقى للطيران الالماني بعد خروج المحور من افريقيا الا قواعده في سردينيا وشواطيء ايطاليا ، وهذه تصبح معرضة اشد التعرض للضربات الفتاكة من الطيران العدو .

المواصلات النهرية في المانيا واوروبا المحتلة

ومهما يكن من شأن المواصلات البحرية ، عند المانيا فيجب ان لا ننسى الدور الخطير الذي تمثله طرق المواصلات النهرية ووسائلها في داخل الريخ واوروبا المحتلة . ولقد تنبهت المانيا اثناء نهضتها الصناعية الى شق عدد من القنالات تصل ارض الرين و « ستفاليا » ببحر الشمال والبلطيك والانهار الكبيرة والبلدان المجاورة حتى البحر الاسود نفسه .

وتشكل مجموعة المشحونات التي تنقل عبر طرق المواصلات المائية في المانيا حوالي ربع المشحون على طرق المواصلات الداخلية جميعها ، بما فيها السكك الحديدية . وفي سنة ١٩٣٩ كانت المانيا تملك ستة آلاف مركب من مراكب الملاحة النهرية ، وهذا العدد في تزايد لان السكك الحديدية تقل طاقتها عن النهوض بما تفرضه عليها ظروف الحرب ، وقلة وقود السيارات يجعل النقل «باللوريات» صعباً جداً .

والذي يعنينا هنا ، هو ان ندرك قيمة طرق المواصلات المائية في داخل المانيا ، ونعلم ان اهم هذه الشرايين الحيوية يقع على مدى ٤٥٠ ميلاً من الشاطيء الانكليزي بحيث يستطيع الطيران ان يسدد اليه ضرباته . ولقد قذف سلاح الطيران الملكي قنابله اثنين وعشرين مرة في اربعة اشهر من عام ١٩٤٠ على مرفأ « دوتورغ روررورت » وهو اعظم مرفأ داخلي في المانيا لا يقل عمله عن مرفأ نيويورك او « ليفربول » او بوانيرس » . ولكن لا يزال بالامكان تشديد الهجوم الجوي على هذه الشرايين الحيوية في المانيا .

المواصلات البرية — سكك الحديد

ولا ريب ان مسألة السكك الحديدية هي اخطر المسائل واشدها صعوبة بالنسبة الى مواصلات المانيا كلها . ومعروف ان المانيا هي من ارقى بلاد العالم في كثرة سككها الحديدية وضبطها واتقانها . ولقد زادت هذه السكك باستيلاء النازيين على معظم اوروبا ووضع مقدراتها تحت تصرفهم ، فاصبح مجموع طول الخطوط الحديدية التي يسيطر عليها « الريخ » حوالي ٢٥٩٩٠٠ ميلاً ، ومجموع القطر ٧٣٨٠٠ قطاراً . ولم تكد المانيا تجد نفسها امام عائق في استعمال السكك الحديدية التي استولت عليها ، الا السكك الروسية لان منفرجها اوسع من منفرج السكك الاوروبية بثلاثة قراريط ونصف القيراط ، مما يستدعي تغيير القطر عند بلوغ الحدود ونقل المشحونات الى عربات اخرى ، وبناء عربات جديدة في حالة اتلاف الجيش المنسحب للعربات القديمة كما هو المألوف في الحرب الروسية .

كان النازيون كما قلنا يعتمدون على نظرية الحرب الخاطفة ويتوقعون انتهاء المعارك في أمد قصير . على انهم اخطأوا التقدير، وما لبثوا ان احسّوا بضغط مشكلة السكك الحديدية عليهم رغم جميع ما غنموه في اوروبا . وهذا الضغط ظاهر في قلة القطر المعدة للركاب ، في جميع البلدان المحتلة ، وظاهر ايضاً في تحميل السكك فوق ما تطيق من الاثقال وعدد العربات .

ويشترك في تعقيد هذه المشكلة انصراف الطيران البريطاني الى ضرب الخطوط الحديدية الالمانية انصرافاً منظماً بعد ان اتجهت تقديرات الخبراء الى ان تمزيق شرايين المواصلات في داخل المانيا ، من الجو ، يصيبها في مقتل اكيد او يشلها ويرغمها على الرزوح .

وليس يبعد مكان تلاقي السكك الحديدية ، وتشابكاتها في المانيا ، عن شواطىء الجزر البريطانية الا ٤٥٠ ميلاً ، وقد بلغ ما استطاع ان يتلفه سلاح الطيران الملكي من القطر الالمانية في سنة ١٩٤٢ ، ما لا يقل عن انتاج المانيا وفرنسا في القطر مدى سنتين .

خلاصة

قال لودندورف في مذكراته ، وهو يريد ان يعلل هزيمة المانيا في حرب سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ : « اصبح الناس والآلات في بلادنا منهوكين ولا سيما مصلحة القطر والسكك الحديدية » . وان اتجاه الحوادث يدل على ان المانيا سائرة الى مجابهة الموقف نفسه . اما سرعة سيرها فتتوقف على مدى الاثر الذي يحدثه تدخل عوامل حربية من الخارج ، وفي مقدمتها ، عامل الغارات الجوية على طرق مواصلاتها .

رئيف خوري

الثالوث البكر

الحبّ والخمرُ يا ليلَ والشعرُ
ثالوثنا البكرُ

كان الهوى قبلنا من بعض ما يُقتنى
وخُدعةٌ في اللسانْ

والشعرُ يا ليلَ كان شيطانُهُ بهلوان
حتى تغنى بنا

جئنا فجاء الخيالْ معطراً بالجمالْ
ملوناً بالسنى

هذي الربى من تكونْ يا ليلَ الا عيونْ
ترنو هُياماً لنا

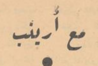
جئنا فصار الزمانْ بحبنا مهرجانْ
والارض صارت جنى

لا تنظري ، فالسماء محجوبةٌ بالدماء
والجهلُ يرعى الورى

أما بنينا بناءْ يا ليلَ ، فوقَ الفناءْ
فيه السما والثرى

والحبّ والخمرُ يا ليلَ ، والشعرُ
ثالوثنا البكرُ ؟

الياس ابو شبكه



بقلم الشيخ عبدالله العلايلي

هناك(١) على شاطيء دجلة في زاوية خليج البصرة ، كانت الابلّـة مهوى متماجنين ومتماجنات ، ومهبط وحي الهوى والشبـاب ، وملهى كل فتى وفتاة بلوَر المرح طبيعتها ثم اطل ينظر الى صورته فيها .

وليس في حس هوْلاء عن الحياة سوى انها شيء يحلو ويلهو ، كانداء السحر في شفاه الاقاح والياسمين ، وكلولآت الطـل في خدود الورود والرياحين ، فهم يفنونها سكرى مرح ونشاوى مجون ، ولا يطيف بسمعهم سوى نغمات تتناهى متلاشية في هذا القرار :

(يا للشباب المرح التصابي   روائح الجنة في الشباب)

ففي اعماقهم صوت يهيب بهم الى التجنيح في فضاء المراح ، والغناء في في لاوعي الظرف الغزِل . وهل الحياة من واجهة الشبـاب سوى اغراءة تقوم في اللهو العابث ، الى اخرى تستوي في المجانة اللاعبة ؟ .

ثم هل الدنيا سوى اغراء متجاذب باغراء يبالغ في اسره ، حتى ليستدني اليه من احتضر الشباب في قلوبهم بالعمر او بالفكر ، فيستهويهم وربما استغواهم ايضاً بما يتنفس به من خلب . . .

هذه قصة شاب احتضر الشباب بين برديـه بفكرة التقوى ، ولكنه اطل الى الحياة من كوة المعبد المتكلل بالصمت الوقور ، فرأى ما تجيش به من اغراء وما يتموج فيها من فتون . فملأت عليـه نفسه واستوت طيوفها في ناظريه ، فاستيقظ شبابه الفاني وشت روح الشبـاب تتراقص في قلبه سكرى .

مضى في ظنه ساخراً يجرب هذا المجون حينـا فقط ، ويروي ظماة الصبا المكبوح ثم يعود فيحمل كتاب تقواه . بيد انه رأى الدنيا لا تتكشف الا عن مجون ، وكلما نضت ثوباً مسته لمسة فتون ، ودب في حناياه من شواظ الشباب طائف جنون ، فكان طبيعياً أن ركن . واذا بفكرة التقوى لديه تنقلب هي التجربة ، ويستنيم مسترخياً على متن موجة مزبدة ، من مجانة هذا الوجود المسحور . . بهذا كان يتحدث « الدلال » في جمع من ظرفاء الحجاز ، جمعهم التصادف في الابلة بينهم « أشعب » .

كان يوماً مفعما بسيل من غرانيـق الفتيان وغواني الفتيـات ، هذا النيروز . حتى كأن الحياة اتخذت فيه معرضها ، فأطلعت اقصى مـا في ابداعها الفني ، من آيات الجمال الناطقة بالهوى ، والداعية بألق الاغراء الى الحب ، والمشير بأسر السحر في العيون والشفاه الى فردوس الخلد السعيد . ولا عجب فنهر الابلة ، معدود أحد مسارح الجنان على الارض في حس هوْلاء .

وكان « يزيد » الشاب الطرير الذي بالغ فيه ترق الشباب وذاب في لعابه ، قد ذهب موغلاً في الصحراء منذ حين يصيد الظباء ، ويتبع آثار السوانح من الجاذر والآرام والوعول والايائل كيفما ذهبت وانعرجت . ولذّته المطاردة واخذته نشوتهـا فمضى يلهو ، وزمرة لهوه تتبعه انه لا يلوي على شيء في مداه .

لم يشعر الا وهو بين جموع اللاهين عند نهر الابلة ، فالتفت يضحك الى رفاقه متعجباً : لقد قطعنا صحراء الشام الى العراق ونحن لم ندرك . .

ومال يربت على كتف ترب من اترابه ضاحكاً منتشياً ، ويتأبط ذراع هذا حيناً وحيناً يدفع ذاك لاهياً عابثاً ، انه يحس بحياة جديدة ودنيـا جديدة .

راح يتنقل بين الجموع وفي اثره « سرجون » راعي طفولته وصبـاه ، ولكنه وقف فجأة عند سرادق منيف عرف انه سرادق امـير العراق عبد الله بن سلام القرشي . فقـد اخذته بغتةً وجه غانية نصَف ، كبغتة بدر انشق عنه الغمام واستعرى دونه ليل بهيم حالك ، فرجّ نفسه رجاً عنيفاً وتلبسه دوار الجمال الذي مال يتلاشى بطيئاً بطيئاً ، لينكشف عن غفوة في حب القلب وتلهف العقل السليب ، تمده يقظة في الغرائز المفعمة .

كان في خياله وجه يتنفس بمثل عبق الزهر ، وعينان تبثان مثل السحر ، وشفتان تنطلقان بمثل ذوب الغرام ، وزاده بها ان قلبها لا يتجاوب بصدى عواطفه ، فتدور عاطفته نصف دورة وتنكسر متلاشية فلا تتم دورتها ، بل تمحي رسومها في انبهام كالح ، وغموض يائس متجهم ، وتغوّر فيه ضجيج الانتحار .

والمرأة تزيد فيها جاذبية الانوثة نضجاً ورواء اذا اضحت زوجـة ، فقد انحسرت اكمام طبيعتها المغلفة تنشر أريجها كالزهرة ميـاسـة ناعمة في الهواء . ان المرأة تحس بشيء مبهم وهو جوهرة الانوثة في اقصى كيانها ، فهي ترعاه بسياج الحياء كأنها تحتضنه بكلله ، فاذا استحالت زوجة فقد استحالت الانوثة فيها انثى كاملة المنى . لقد عاد ما كان متغوراً في اقصى الكيان وهو اولى ظاهرات الكيان طافياً ، واضحت لولوة الانوثة الخبيئة في حقاقها والمنطوية على صدفتها ، وهي حليـة منشورة . فيما بعد عرف « يزيد » في عروس احلامه هذه ، انها « ارينب ابنة اسحق » قرينـة الامير وسيدة السرادق . فعرضت في خاطره كلمات متقطعة هاذية ، فراح يحدث نفسه : كيف لي بها ؟ . بيني وبينها هوّة سحيقة ومسافة تزيد مع الايام تنائيـاً وبعداً . . وتلبث زمناً ليس بالقصير ، يرود مغناها ويراود قلبهـا ، ولكنها عربية الاعراق وان كان هو الشاب النضير ، فبينها وبين قرينهـا ما شاء الهوى العبق وما شاءت سعادة الازواج الخلطاء .

بات كاسفاً أرقاً يردد ولا يفتأ :

(وفي الحي « نعم » قرة العين والهوى   واحسن من يمشي على قدم « نعم »)

وتخوّف مربيه « سرجون » فزين له الرجوع الى الشام لعلـه يسلو ، فأجابه وعاد بصحبه يريدون دمشق وبينما هو آخذ بمحاجز الصحراء ومفاوزها ، حانت من يده لمسة وقعت على قوسه الذي فصل في غدوه يصيد به الظباء ، فتذكر ريمه الذي صاده فشد القوس اليه ، واعتصره بين يديه في ثورة قلب :

حطم القوس على صحرائـه   واتكى يسقيه من ماء الشكاة
أيهـذا القوس . أنت مثلٌ   مثل قلبي ، حطمته العاصفات
وسأحييك بمنهـلّ الدموع   انمـا دمع المحبين حياة . .

لم يزده بعاده في دمشق الا كمدا وأسى ، ولم يورثـه الهجران الا لهفة وجوى ، شأن الذين يحبون بغرائزهم ، فعواطفهم ابداً تكون عنيفة مهتاجة على الذكرى لانها وحي الاعصاب .

تناهى امر « يزيد » الى ضمور وسلوى المتع ، والانكماش على نفسه

(١) هذه القصة توْلف فصلا من كتـاب يعده الاستاذ الكاتب عن حياه الحسين . وكل الجمل التي بين قوسين هي من الرواية التاريخية .

في اي مكان اشتمل عليه . فهذا الذي كان يملأ القصر لهواً ومرحاً، ويقطع الليل عربدة سكرى ، ومغاني الانس بشاشة وحبوراً ، والذي لم يكن من همه الا ان يقطف من رياض الغواني الكواعب باقات زنابق وورود ، ويهتصر منهن غصوناً لدنة ، غدا ذاهلاً ذهول المقبل على الموت، ضاوياً كأنه نضو فلاة او متروف دماء ، حبيس هوى ومبلس خيال ، غير شهي الى شيء من ملاهيه التي كان لا يستطيع عنها صبراً ، ولها مجانبة وفي انتهاجها احتشاماً .

أما اليوم فهو مدنف كاسف مصروف الهوى، لا يرى الا منتحياً الى نفسه في ظل شجيرات كان يتشهى فيها ساعة غزل او طرب

وكان « سرجون » مربيه يراقبه من بعيد ، ويلزمه دون ان يراه او يلمحه ، فانتهى الى سمعه من نجوى « يزيد » لنفسه :

أواه . أرينب . يا من لا تشعرين بوجودي وآلامي وخلجات قلبي واراك ملء الدنيا لذاذة ومتعة ونعيماً . آه ليتك تشعرين . اذن لكنت سعيداً .

آه . هل تصدق احلامي فأراك عند يدي ، تنحنين عليّ فتضمدين جراح فؤادي ، وتملئين وجودي اشراقاً بألق وجهك العبقري الحسن . حلم سعيد ، ولكن دونه مفاوز الجحيم العبقرية الاشواك والاهوال ايضاً . ثم اطرق وتناهى به الاطراق ، ولبث طويلا كأنما ابتلعه ضباب المساء في ليلة رمى بها الشتاء في العاصفة . .

أرينب ! أنت حلم سعيد وقد بت متعة قريبة المنال مني .

أرينب ! لتقم في سبيلك سيول الدماء ورايات الجماجم والاشلاء ، فانني سأسير عليها اليك في ابتسامة القسوة وقهقهة جبروت البطش . ان انين الفريسة - وعظامها تتقعقض بين فكي الاسد - يطربه ويشجيه ، لانه مقاطع من انشودة كبرياء الذات ، ولذا كان الاسد لا يطعم الا على ألحان ناي الاشلاء .

أرينب : أنت عروس أحلامي . .

سوف الحو بك امداً كالزهرة ترودها النحال بتلهف الى الامتصاص ، ثم سيان عندي أذكرتك ام نسيتك بعد ، ثم أليست النساء في النوع رياحين كما قيل ، وهي تذهب في شمات او دونها وتبلى فتنتها ، فاغتنميها فرصة لذاذة كبرى معربدة ، وانت فيها فواحة بالعبير .

آه . ان ظمئي لا يرويه الا سيل من دماء ، اذا وقف في وجهي ابن سلام . انني أحس بأسناني تتأكل كأن عليها حكة جرب ، سوف ابارزه فأقتله او اترصده فأغمد فيه وراء السيف يدي . . ولم يزل مع طيوفه التي أخذت تتجسم له ، فيراها قريبة منه دانية اليه ، وكأن طيف ابن سلام عرض له في بعض الطيوف فهب يخترط سيفه وقبض على قائمته ، وهزه في الهواء هزات ضحك في اثرها ضحكاً عصبياً . وفجأة تقلصت تقاطيع وجهه وارتد الى الوراء فزعاً متعقد الايدي ، يقول فقد عرض له طيف العدالة :

«انني يزيد. يزيد الامير . .»ولكنه لم يزل يرتد الى الوراء في ذعر يقول : لست . لست انا . هي هي أغرتني . . وعراه دوار فقد اخذته اعراض حمى خبيثة ، وكان يهذي تحت وطأة الداء . فوجل سرجون وجلا شديداً ، ولم يجد بداً من ان يتعرض له ويقطع عليه ما هو فيه من خيالات . أفاق بعد حين ، وزايله ما كان فيه من هذيان فقد تماثل نحو الشفاء والابلال من الداء . وبقي في تصميمه ثابتاً اغتيال الرجل وانتزاع معشوقته انتزاعاً ، رضيت أم أبت . وعرف منه سرجون ذلك العزم وخشي مجازفته ، فأسر الى والدته « ميسون ابنة بجدل الكلبية » بكل خبره . فأطرقت برأسها وقالت :

فهذه علته اذن . وكان يزيد وليدها المفدى فلم تطق آلامه في سبيل امرأة ، ولم تطق ابداً لرجل مهما كان خطره ومنزلته أن يحول بين ابنها ورغباته ، فقالت تخاطب سرجون :

ومن هذا ابن سلام زوجها ؟ .

قال : هو امير العراق من قبل الملك . . فانقلبت ضاحكة تقول : يكون من عمالنا ويقيم له يزيد كل هذا الوزن ؟. اننا نحن نرفعه أو نخفضه . ثم هل هو الا منفذ لرغباتنا عليه ، هو صنيعتنا فيجب ان تكون زوجته احدى امائنا ، نتصرف فيه وفيها كيفما نهوى . انني لا أطيق ان ارى يزيد واجماً من أجل امرأة ، ولست اطيق ان اسمع انه يمنع عنها بالغة ما بلغت منزلتها .

بلّغ الملك اني لا اطيق ان ارى يزيد محزوناً يبكي ، بلغه ان هذه المرأة يجب ان تكون في جملة اماء يزيد يعبث بها ويلهو .

قال سرجون : لعل زوجها لا يرضيه تركها ، او لعلها هي لا ترضى ان كان منه ذلك .

قالت وضربت بيدها على وسادة بجنب مقعدها : وما قيمة رضاها ؟. اننا نريد ذلك وكفى . فابتسم سرجون وقال : أظن الاميرة لا تعني تماماً ما تقول اولا تجد كل الجد . فلابن سلام خطره ، ولو لم يكن بذي خطر فلا يسعنا انتهاكه انتهاكاً مكشوفاً وتحديه في شرفه ، ولكن نستأتيه في غير شعور منه .

قالت متأففة متبرمة وهي تهز كتفيها : انني لا افهم معنى لخشيتك .

فقال : ولكنك تريدين ان افهم فقط معنى خدش كرامة الرجل ؟.

قالت : اذا كنت ترى في ذلك بأساً فاستأت كيف شئت ، وأنا اريد ان يصل يزيد الى غرضه كيفما كان ، وليست تهمني الطريقة التي تسلكها ، انني اريد ان تفرعين يزيد بها ، ولا يعنيني ما وراء ذلك . .

فاستدار سرجون على عقبيه وهو يقول :

أما كذلك فنعم . . .

* * *

دخل سرجون مجلس الملك ومن حوله حاشيته يتدبرون أمر يزيد وما عساه ان يكون طرأ عليه ، وبدا « معاوية » مغتماً فهو لا يطيق سماع ان يزيد مكتئب . وهو بكر الامارة المترع بالدلال وفي قرارة نفسه ان يقربه عيناً وهو ولي عهده .

كان فيما يسيطر على المجلس من وجوم ، ماجعل سرجون يقف طويلاً قبلما أسر الى معاوية بشأن ولده البكر ، رغم قربه من معاوية ومنزلته المرفوعة الحجاب لديه . وظل واجما هو ايضاً ، فقد عدته روح المجلس وسيطر عليه جوه حتى قطع الوجوم « عمرو بن العاص » بقوله :

وماذا تظنون اصابه وهو في جسم الفيل ونشطة النمر ؟ وابتسم . لعل احدى غانياته المدللات فاركته وقطعت اسباب وده .

قال معاويه : ما هذا يا عمرو ؟؟.

قال : لم يقع في مدى خاطري سوى هذا ، وعلى كل (فهو أمر لا يوقف عليه الا من قبل والدته) ، لعلها تنتزع من بين شفتيه كلمة سره الرهيب . وأطالها كالساخر . . وهنا وجد سرجون مناسبة الافضاء الى معاوية فمال على اذنه يساره وما لبث ان ضحك وهو يقول :

عند ظنك يا عمرو ، ولكنها غانية جديدة . . فابتسم الحضور وطلب

معاوية ان يخلو بنفسه سوى عمرو . فقال :

من اريئب : وهل تعرف عنها شيئاً ؟ .

قال عمر : نعم . هي من (أعرق الحجازيات نسباً ، واكثرهن مالاً ، ومثلٌ في الجمال بين غرائر زمانها) ، كانت عند عدي بن حاتم من قبل ، ثم صارت الى عبد الله بن سلام امير العراق اليوم .

قال : ترى انه عزيز علينا اصطيادها .

قال : هوذاك ، وامنع ما تكون .

قال : ولكن كيف برغبة يزيد الحارة ، فانه يحز على نفسي ان يبيت آسفاً لا يقضي لباناته ويشبع شهوة نفسه ويروي ظمأ قلبه .

قال : وما هذا ؟؟ أأنت ايضاً تسايره في مجونه وعبثه ، وما يدريك لعل ما يتظاهر به من كمد هو من حيله على المجون ومن دلاله على التنويل، كي يجعل منا مطايا شهوات واوطار . ان الناس قد يتحملون منا ضراوة في السياسة وضراوة في الاموال ، الى ضراوة وضراوة في الاحكام ، ولا اراهم الا ثائرين بنا اذا جعلنا بيوتهم هدفاً لضراوة شهواتنا ايضاً .

قال معاوية : هو ذاك . ولكن كيف لي بالترفيه عن يزيد فاني لا اقدر ان أراه كاسفاً ، الا ففكر معي وتحايل ما وسعتك لباقة الحيلة . .
ففكرا ملياً وكان عمرو أسبقهما فهتف :

اقد وجدتها ، وان كان فيها تسخيرك اياي حتى لولدك ايضاً .

قال معاوية بغبطة : هات . هات .

قال : رأيت ان تستدرج ابن سلام بالالطاف (وكرائم الاموال والخلع) ، وتريه جانب الود منك وتغريه بزيارتك والقدوم عليك .

قال معاويه : وبعد .

قال عمرو : ذلك عليّ حينه .

* * *

فصل عبد الله بن سلام مذ اقترن بأريئب وهو يرى حلم سعادته ينتشر ليجتمع في حدودها ، فأحلها منه محل القلب ، فكان اذا خلا الى قلبه وجد اريئب ، واذا خلا الى اريئب وجد قلبه . وكثيراً ما كان يقول لها :

ليخيل اليّ انك لست سوى قلبي مصوراً ، وشاء ان يتجسد في شكل بنات الخلد ، فيريني كم هو سعادة وكم يجب ان اكون به سعيداً . لوددت يا اريئب انني اتحول هالة في أبدية عينيك الفاتنتين .

آه . يا ما أسعد الازواج اذا كان لكلهم مثل عبد الله . . .

قالت له صباح يوم وقد قطفا اول اشراقة من شعاعة الشمس : لا ادري لماذا . لماذا يعاودني في أقصى هواجسي العميقة الخفية منذ ليال ، انك لم تعد لي . وتتنادني طيوف خبيثة أظل منها في رهبة . . . وتعلقت به . اني خائفة .

ترقرقت في عينيها دمعتان كبيرتان ، تراخت احداها ساقطة واستمسكت الاخرى متبلورة بين جفنيها اللذين كانا في نصف اغماضه . فأهوى يضمها اليه ضماً عنيفاً كأنه يحاذر ، فقد عراه مثل هاجسها او شر منه ، عراه ان هناك من يحاول اختطافها ، فهو يشدها اليه يضن بها ويفتديها .

استويا في مقعدها ثم لم يخطوا الا قليلا في حديقة القصر ، حتى استأذن حامل البريد يسلمه كتاب الملك .

استطير طرباً واستخفه الانعام الملكي عليه ، وكان مفاجئاً حتى لقد ذهل عن انه غادر زوجته الخفية عنده دون ان يلقي عليها نظرة واقعة ، تشير الى انه سيعود اليها بعد متعة قصيرة بالنظر الى ما اهدي اليه .

وقفت تنظر باهتة وعاودتها هواجس، فلم تطق وقوفها طويلا فانثنت الى مقعد ، قامت فوقه متعانقات البواري في شكل جمل منه وكن عاشقين او طيري حب . وقالت تناجي نفسها :

آه . لقد وقع ما كنت اهجس به في خاطري ، والذي كان يحيك في صدري من وساوس. ليت الهدايا التي استخفته كانت عند قدمي لأطأها مستخفة بانفس ما فيها ، ولا اقطع على نفسي لحظة قلب كان يخفق فيها بمعنى الحب وهو كل الحياة وكل السعادة .

اتقطعه عني هدايا حقيرة ، مهما بلغت نفاستها فلن تكون الاّ حقيرة بجنب ما هو دون حسوة طائر من نشوة ما كنا فيه ، بل بجنب خلجة راعشة من تلك الخلجات المفعمة .

الآن فقط . بدا لي طفلا تفتنه لعبة عن لعبة ، ويأخذ ايما وقع عليه بكل بصره . اذن لم يكن الا طفلا ، ولم اكن كل هذا الوقت سوى لعبة كبيرة يلهو بها ، ودمية حية تمتع قلبه البارد بحرارة انفاسها المنداة . وهؤلاء الذين يرون المرأة دمية ذات حرارات ، هم باردو القلوب وانما يطلبون فيها الاصطلاء والدفء فقط. اما انا واحس بقلبي مشتعلا ، فأريد قلباً مشتعلا ايضاً يفنيان على بعضها في تلهب جميعاً .

أف للرجل . انه طفل في حس القلب ولا يزيد ، ثم لا يشعر من العاطفة الا على مقدار العبث ، وليست للأشياء قيمة عنده الا على قدر ما تملك من ايحاء اللهو عليه وتشيمه فيه .

لا لا . لست ارضى ان اكون عنده متاعاً صنو هذه الهدايا ، بل خيل اليّ اني احقر منها في نظره . فغادرني يخف اليها ولم يترك عند موقفنا نظرة اشتغل بها حتى يؤوب ، انما اخذت بكل هواه حتى لم اعد شيئاً اذكر .

اف للرجل . انه في دنيا القلب طفل ، ذو طبع بليد خشن .

يا لكِ من هدايا مشؤومة ، انك هدايا فيك كل ما في السموم من روح ، وكل ما في الافاعي من معنى مخيف ووجود رهيب . وما يدريني فلعلها حبائل وشباك منسوجة من حمات العقارب وأوبارها . . وما هو حتى رأته مقبلا مغتبطاً ، تشيع الابتسامة المشعة في وجهه، يحمل بين يديه كرائم الجوهر وعقود اللآلىء البعيدة السطوع ، المتماوجة بالسنى والسناء ، يقول وهو يقلبها في كفيه :

اليكِ . اليكِ . لقد جاءت كأنها تقول كنت يتيمة حتى وجدتكِ اما تسمعين ، اما تسمعينها . . وراح في نشوة ضاحكة ، ولكنها ظلت جامدة لا تحير جوابا . فبهت وعراه خدر كالذهول ، فاسترخى كفاه وتساقط ما استوى عليها من ثمين الاحجار الكريمة وهو لم يشعر . وكانت اريئب تنظره وترى ، فألمت بما عراه فاغتبطت ، ولم تلبث حتى اخذته بين ذراعيها نشوى . . .

عند شرفة الصباح بعد ايام حيث كانا واقفين ينظران الى الافق البعيد، قال وهو يحبس بعضاً من انفاسه التي احس بانها تخرج جملة ثم لا تعود :

لعلي لا اغيب عنكِ طويلا ، وسوف . . . قالت مرتعدة :

تغيب عني . ماذا تقول ؟. والى اين ؟.

قال : رأيت منك يوم الهدايا انك غير مغتبطة فلم اخبرك ، جاء في كتاب الملك ايضاً انه يعزم عليّ بالحضور ، ولا ادري لماذا ؟. هدايا مفاجئة ودعوة مفاجئة . ولكني اظن ان سعادتي بك جذبت الى سعادة اخرى . . وربت على كتفها .

انتفخت اوداج وغصت الكلمات في حلقها ، ولكنها حاولتها كأنها تلوك حروفها لوكا :

(أيتها النفس اجملي جزعًا   فان ما تحذرين قد وقعا)

فقال يداعبها : هذا قول أوس بن حجر يرثي به . وهـا انا فجسي يدي . . قالت انني لست ارثي سوى نفسي الى نفسي وحاول الكلام فقطعته عليه بقولها :

لست مغتبطة بسفرك ، وبودي انك لا تذهب بل بودي ان ترد عليه عمله وتعتزل . فلي من اموالي الكثيرة ودنياي ما يغنيك عن امواله ودنياه ولك من سيادتك ونشبك ما يغنيك عن التسوّد به .

قـال : هو ذاك . ولكني لا أدري كيف ارد عليه . ان هي الا ايام قصيرات المدى ، اعود اليك على اثرها واصير الى رغبتك باعتزال عمله . . ولكنها ظلت ترغب اليه ان لا يرحل ، وحانت منها لفتة فرأت افراس البريد جاءت تحمله . فلم تطق تراه يسير ، فذهبت تدفن وجهها في راحتيها وتجهش في نشيج مرير . وردد عبدالله وقد تمـادى به المسير :

(وكم تشبثت بي يوم الرحيل ضحى   وادمعي مستهلات وادمعه
ودعته وبودي لو يودعني   صفو الحيـاة ، واني لا اودعه)

***

كان عند معاوية بعد أيام لم تكن طويلة في غير حس اريتب وحس عبد الله ، فتلقاه بالالطاف والانس الناعم ، فعجب كثيراً وفكر كثيراً ولكنه لم يهتد لوجه الامر ، وتحير به تقديره فلم يطمئن الى اي وجه انصرف اليه . بيد انه مع ذلك كان مغتبطًا ، وترايد به الاغتباط تجاه ما يلقى من حفاوة واحترام ورعاية مقام ، حتى لم يعد يفكر بشيء لم يدر كنهـه الا انه وجه بشرى على اي حال . لم يكن يرى الا مدعواً الى مجالس انس معاوية ونوادي السمر الغزلية ، والا منتشيًا على مثل الطيش في ليـالي القصور الشرقية الماجنة ، التي كانت ذات نسب قريب بليالي الف ليلة .

استيقظت في نفس ابن سلام صبوة لم يكن يعهدها ، صبوة من نوع الصبوات الحادة ، فلم يعد يفكر في مدى انطلاقها الا بارواتها ، ودارت فيه نهمة كأنها انفطرت من طبيعة الظمأ . فقـد هبط من فردوس الحب القلبي السعيد ، وانبعثت حياشة عليه نزوات كان يكبتها القلب في نشواته العبقرية الالتهاب ، المتلظية بالشعل الحمراء .

كان في هذا الجو الخمري اللذات المهود بحائل الشهوات ، ما أحال أريتب في جو نفسه الى ذكرى من الضبـاب لم تزل تتلبد وتحتجب . وعاد لا يذكر الا ما هو فيه ، وتمنى لو طال امد هذه المتعة اللازوردية في لسان اللهب ، وغبر منذ قريب لا يستطيع ساعة بعاد عن اريتب ، مهاتـه النابضة بالطهر في وثبات الحب القلبي الخالص .

انه أسف مجنحًا في محيط من الحمأة البعيد القرار ، واضفت على ناظريه الوحول فلم يعد يرى ، وانما بات يحس في طراوة الوحول نعومة الزبد ، فراح يهيم في خيال الوحول .

تملك ابن سلام في ليالي القصر المسحور ، انفعالات حب طلب معها التمادي في دنيا الشهوات . . .

في ليلة ماتعة من ليالي القصر الزاهية العبقة ، ادناه معاوية منه وعاطاه حديثًا مذهب الاطراف مغري البدوات . وقال له فيما قال :

هل لك زوجة ؟ .

قال : نعم . . فضرب يداً على يد واضاب وجهه ببعض يده ، فمال على اذنه عمرو وقد أظهر انه اغتم من اجابته ، وساره :

يا عبد الله . ان الملك اراد ان يزوجك ابنته لما عرف من شرفك ، (وانت تعرف ان بنات الملوك لا تدخل على ضرائر) .

فقال لعمرو : (كيف الحيلة) ؟ .

قال له : اذا دخلت غداً وسألك ، (فقل ليس لي زوجة فقد طلقتها) واشهدت ابا هريرة وابا الدرداء .

بات ليلته ارقًا ، فقد استيقظت ذكرى اريتب الغافية في اعماق نفسه قوية عنيفة ، واخذته طيوفها البادية كالملائك في اثواب طهارتها . . فراح يتمتم : أأنـا أخونها . أأنـا . كلا يا ملاكي لن أفعل من اجل شهوات رعناء تذوب لذاتها سريعًا ، وتبقى آلامها مستطيرة مستفحلة . . واذا به يبدو مبتسماً فقد باركه طيفها . . ولكن لا يلبث حتى تستجيش بـه شهوات موارة ، تريه الدنيا والسعادة والجاه وكبرياء الحكم تعنـو امام قدميه ، اذا استجاب الى معاوية ورضي منه بالاقتران الى ابنته . . وتمتم حسب اريتب بكرنا خالد . وانا اذا طلقتها فلم افارقهـا والى الابد ، فصلة بيننا ابداً وليدنا العزيز . وصمت قليلاً وعاد يناجي نفسه :

وانا اذا فعلت ألست أخون خالداً ايضًا فوق خيانتي امه ؟ . ألست أكون قد دفعته الى الحقد علي ؟ . وكيف أطيق هذا ولو في التصور والخيال ؟ . انني لا اطيق . . وبدا له طيف ولده خالد في طفولتـه الساذجة الموحية بالحب ، كأنه يرجو اليه ان لا يفعل . وساورته عاطفة قلبه مساورة فصرخ معها :

لا لا . لن افعل . . واستغرق في ساعة تهويم انكشفت له فيهـا زوايا المجهول من المستقبل ، ثم استفاق وعلى لسانه :

أليس في هذا التسوّد الشامخ مـا يخدم ولدي في مستقبل امره ، فلا شك انه يغفر لي خيانتي ، ولا شك ان اريتب تغتفرهـا لي ايضًا . . .

فاصبح وقد عزم على الخيانة يعلل نفسه : بانه لم يخنها خيانة قلب والذلك هو لن ينساها ، وحمل الهواء قبلة وداع من بعيد ، فهذا آخر العهد باريتب وتعرضت له اطياف راقصة من بدوات الاطماع الكبرى ، فسار في بهجتها كأنه يجنح طائرا ، وكان يجتهد ان لا يذكر شيئًا ، يجتهد ان يشعر بانه مخلوق اليوم وليس له عهد سابق بالوجود .

سار غير مثقل بأية ذكرى من التاريخ واية فكرة تتصل بماضيـه ، انه وليد صدفة جديدة ووليد بهجة جديدة ، يقبل عليها بمـا تشاء من بهجات . فكان منه ما اشار عليه به عمرو بن العاص ، فقال معاويـة لابي الدرداء وابي هريرة :

(ادخلا على ابنتي فأعلماها بالامر على وجهه) . . فتظاهرت لديهـما بالاهتمام والسرور ، وصرفتهما لتسأل عن دخيلـة امره ، (واثنت على ابن سلام) .

ولكن ابن سلام شعر فور طلاقه اريتب ، ان معاوية لم يعد له كما كان بل غدا يلقاه بفتور نفس وانكماش لقاء . فأوجس شراً (واسرع الى ابي الدرداء وصاحبه يستحثهما) ، فأتيا ابنة معاوية فقالت :

(انها سألت عنه فوجدته غير موافق لما تريد) . . فلما بلغاه جن جنونه واسقط في يده ، وعلم انه ذهب ضحية خدعـة ليس يدري غايتها .

انقلب الى الدار التي اعدت لنزوله فوجدها تعج بالاشباح المخيفـة وتزأر في مثل تجاوب الذئاب ، فاستطير ذعراً ومشى في انفاسه هلع نكير . ففر يعدو الى الخلاء وقد انطبعت الاشباح في عينيـه ، والتفت الاصوات تمور في اذنيه ، فراح يغمض عينيه وكفاه على اذنيـه يجري ، انه يريد ان لا يرى ولا يسمع ، يريد غفوة في الذهول ولا هذه اليقظة

المجنونة . وما استرخت كفاه عن اذنيه حتى استعوى به صوت :

خائن . خائن . وعلى يديك دماء الجريمة ، تمشي عليها ارواح ضحايا ثلاث . قلب زوجة هي تمثال الاخلاص في الحب ، وقلب غلام هو تمثال الاحلام البريئة البيضاء ، والثالثة هو قلبك أنت ..

بعد ذلك أضحى ينطلق كالذي ثار في خياله جنون ، ينقل الواقعة ويبث الشكاة وينثر الطعن نثراً دون رهبة اووعي . وتسامع الناس بالخبر وعلقوا عليه باشمئزاز ونفور ، وبات الكثير ينظر بعضهم الى بعض في شفاه مقلوبة وتنكر ، و(هكذا شاع امره وذاع ، وتناقله الناس الى الامصار وتحدثوا به في الاسمار) .

وتناهت بعبد الله الحال الى حيرة يائسة وذهول شقي يائس ، تلاحقه طيوف وتتنكر له اشباح ، وتعترض له خيالات وتتفور من حوله آلام ، وكان لا يفتأ يقول يناجي نفسه : لوددت اني افر الى اريتب ، ولكن هيهات .

انا الذي نكبتها واشقيتها ، أأزيدها شقاء بوجهي الذي غدا تمثال الخيانة الزوجية على اقبح صورها .

فلأتجرع آلام قلبي ، وغصص ضميري ومرارتي ، وحيداً منعزلاً .

كيف أعتذر اليها ؟ . كيف القاها ؟ . كيف استغفر وليدي الصغير ؟ ...

رحماك ربي وحنانيك ، ابق على قلبي لا يتمزع ...

* * *

ظلت اريتب منذ غادرها زوجها الحبيب ، لا تشيع على شفتيها الا ابتسامة متاوتة اذا الحت عليها احاديث وصائفها بالابتسام .

وكان الاكتئاب يتزايدها يوماً بعد يوم ، في احساس يلح عليها بهول غامض تشعر به في اعماقها ينذر بالويل .

وكانت لها في كل يوم جلسة ، تارة عند مقعد اصطباحها في أفياء البواري المخيمات، وتارة في شرفة المساء تودع النهار وتستقبل كواكب الليل تبثها نجواها وزفراتها ، وتتوله الى وقفة في ذوب الشفق الذي كأنه ذوب قلبها .

وفي يوم على عادتها وهي في شرفة المساء ، رأت عند أقصى الصحراء التي تسترخي متكئة على عتبات دارها وفي فنائها ، قافلة كأنها مقبلة من جانب الشام . فلبثت تنشد فيها املها ، وان لم تطمح به فلا اقل من ان ترسم هذه القافلة في نفسها رسوماً مبهمة الا انها مفرحة ايضاً ، تتنفس في فؤادها بندى.. مرت القافلة تخب تحت شرفتها ، وكان حادي الابل يشجي الركب بصوته العذب النغمات :

اريتب . ليتني وُسدتُ قبراً ... ولم افعل . ففي الاحشاء نار
(ندمت ندامة الكسعي لما ... عدت مني مطلقة نوار)
يطيف على فؤادى روحُ آه ... وذوب أسى، وفي كبدي انفطار
أريتب. انت ذكرى من نعيم ... ومن طهر ، ومن عبق يثار
أريتب ،هل ترفّ عليّ ، دنيا ... من الأحلام ؟ هل ثوب يعار ؟
ذكرت—وفي فؤادي نوح باك ... هو انا .. والضمير به أوار
وهل قدَر يطالعنا بفجر ... ويمرح في مسارحه النهار
فنسعد ، والاصيل له افترار ... ونشى ، والغدو له ازدهار

فسقطت على نفسها هلكى ، ولم تك الا أيام من حلول الركب حتى شاع خبر عبد الله في العراق وتناهي الى سمعها ، فلم تعد تعي . وكانت لا ترى الا مولهة حتى عن وحيدها المفدى ، والا معتنقة له تشده اليها مدلهة كأنها تطلب فيه رياً ، ولكنها ظلت ظمأى كأنها لاهثة تطلب الندى والري .

لم تطق بقاء في العراق بعد ، فقد اسودت نواحيه في نواحي نفسها ، فانطلقت بجشمها وذويها الى المدينة تطلب فيها دنيا جديدة ، وتغري خيالها في أنها سوف تصبح مخلوقاً جديداً ، احتضر في نفسه الماضي والذكريات . رثت لها نساء المدينة وذهبن يواسينها بكل ما عند المرأة من خصب عاطفة ، والنساء يحسسن بالمآسي بنوع خاص مكبرة ذات مبالغات ، وفي شعورهن شيوع . فهن يحسسن بأنفسهن في كل مأساة تقع ، ويجدن قلوبهن في النكبات . وهذا الشيوع في الشعور جعلهن يشعرن بأحداث الآلام قبل وقوعها ، وجعلهن أصدق تطلعاً وأرهف حساً ، بالمجنحات الصاعدات من أعماق المجهول والغاربات الهابطات في أعماقه .

تجاوبت المدينة بمأساة أريتب على ما اضاف اليها النساء من روحهن الآسية ،فكانت مأساة لاذعة الوقع وقيذة الأثر شائكة في نواحي الضمير .

أرسل معاوية أبا الدرداء وأبا هريرة رسولين من قبله يخطبان أريتب على ابنه يزيد ، فذهبا الى العراق فبلغهما أنها انتقلت الى المدينة ، فثنيا رواحلهما اليها .

وكان الحسين قبس الهداية وقبلة الانظار ، ومفزع الهاربين وملجأ الضعفاء . فما من أحد الا ويحس في أعماقه بأن واجباً عليه أن يخشع بالمثول بين يديه ، بل يشعرون فوق ذلك بأنه رأس الواجبات . فلم يجد كل من أبي الدرداء وصاحبه حينما هبطا المدينة بداً من أن يبدأ بزيارته قبل أي واجب آخر مهما سمت به قيمة ، فلما مثلا بين يديه يقدمان اليه انواع الاحترام بمناسبة قدومهما ، أنس اليهما وقابلهما بحفاوته التي تعودها الناس على اختلاف منازلهم منه ، وكانت فيه خليقة وطبيعة . لكنه أحس مع ذلك بأن في مقدمهما المفاجيء حدثاً هاماً ، فقال لهما :

ألأمر قدمتما ؟

قالا نعم . قال : وما هو؟ .. فما كتماه أن معاوية وجهها في خطبة أريتب على ابنه يزيد ، فابتسم الحسين ابتسامة من قد أدرك كل شيء ، ونمى الى نفسه (خدعه حتى طلق امرأته ، وانما ارادها لابنه) وواصل : لن تهنأ لي حياة الا باعادة مياه حياتهما الى مجراها ، ولن تقر عيناي وأسعد الا اذا قرت عيناهما بالعودة وسعدا ، ففي سعادة قلبين مخلصين ينبضان بالحب ويخفقان بالعاطفة البريئة سر سعادتي ، فعليّ أن أهدم عليه أحابيله وأصيده بشباكه . قال الحسين لهما : لقد كنت أردت العقد عليها (وقصدت الارسال اليها ، فاخطبا علي وعليه ، واعطياها من المهر مثل ما بذل معاوية عن ابنه ولتتخير) .. استأذناها بالدخول ، وبعد أن استوى بهما مقعدهما ، قال ابو الدرداء :

أي بنية : انك لم تزالي شابة في عنفوان الشباب وميعة النشاط ، وأنا بك جد ضنين أن تذهبي نهباً للخواطر ، وتذهب نضارتك شعاعاً في اكتئاب . واذا ساءك من ابن سلام ما ليس من الوفاء وما لم تكوني به جديرة ، فعسى أن يكون لك في سواه بدلا خيراً .

قالت : معاذ الله يا أبت ، فقد خبرت الرجال وبلوت عاطفة قلوبهم

فما حمدتها ، وبحسبي فتاي أرعاه .

قال ابو هريرة : تمنيتُ لو كنتك، وفعلت ما يشير به أبو الدرداء .
فابتسمت وهي لا تنتظر من مثله مداعبة

وواصل : وهل مثل ابي الدرداء يرد ويختلف عليه .. ولم يزالا بها ، وتعرضت لها خيانة عبد الله فمالت الى النكاية ورغبت بالانتقام .
فقالت : وبعد .. فعرفا بذلك اجابتها .

فقال ابو الدرداء : أي بنية . أرادك لنفسه (أمير هذه الامة وابن ملكها وولي عهده والمليك من بعده يزيد بن معاوية ، وكذلك أرادك الحسين بن علي سبط النبي وسيد الشباب . وقد جئناك خاطبين عليهما ، فاختاري أيهما شئت) .. وهي ما سمعت اسم معاوية ويزيد حتى وجمت وكظمت بركان حفيظتها ، وهل هدم سعادتها وهناءة ما كانت فيه الا هذان . فهل تلقي نفسها بكل اختيار وطواعية في قبضة يزيد القاسية الرهيبة ، فتعتصر لا لا ، انني لست فاعلة ولو اوطأني يزيد الديباج واحاطني بمثل زغب النعام .. وطال بها الصمت وهي في معرض خواطرها فقال ابو الدرداء : علام عولت ؟ وأيهما اخترت ؟ فقد خيل لي صمتك أنك غدوت دمية لا تنطقين .. فانقطعت سلسلة خواطرها وكرهت رد وساطتهما فقالت : ومن تختار أنت ؟

قال : الامر اليك فقالت محرجة له وعلمت انه لن يفضل يزيد بحال : لو ان (هذا الامر جاءني وانت غائب ، لاشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رايك ، فكيف وانت المرسل . فقد فوضت امري اليك) فاختر لي ارضاها .

فقال : اي بنية . ان (ابن بنت النبي احب الي طبعاً وارضى عندي والله اعلم بخيرها لك) . . فانبعث ابو هريرة يقول : نعم نعم . وانا والله (لا اقدم احداً على صاحب فم قبله النبي) ، فيا لغبطتك بهذا الفم وهاتين الشفتين ، ليتني كنت اريئب اذن لسال لعابي . وتلمظ ..
فقالت وهي تضحك من قوله :

قد اخترته .. فتزوجها الحسين وساق لها مهراً عظيماً ، وبلغ ذلك معاوية فتعاظمه ولامهما اشد لوم ، ولكنه انقلب مع ذلك يردد (ان الباطل كان زهوقاً) ...

كان جهد الحسين بعد ذلك معها انه يواسيها ، واذا ذكرت ابن سلام وما سمته خيانة زوجية ، أثنى عليه وهون فعلته . وافهمها اياها على غير الوجه الذي راحت تفهمها عليه ، وابان لها ان الحادث ان كان فيه ما هو عظيم نكير ، فانما هو اقدام من هيأ لهما أسباب الشقاء .

فاذا بها تنتظر الى ما اقترف ابن سلام من افق جديد ، واذا بها ترى فيه أنه لم يكن الا ضحية اغراض واهواء مثلها ، واذا بها تدرك ان من واجبها ان تواسيه جهدها وقد بات شقياً . فبدأت تحن اليه ، وبدأت تعاودها ذكراه في رغبة قلب .

وكان الحسين يحس بهذا منها ، فيفيض بشراً ويطفح بشاشة واشراقاً ، فقد بخع وأدنى قلباً بات نفوراً من قلب بات وقد تشطر ويلا وثبوراً ..

***

أما عبد الله بن سلام فقد ظل في الشام يرمي الهيئة الحاكمة بكل شنار وعار ، ويطعن عليها أبلغ ما وسعه الطعن ، وهو لا يبالي غضباً ولا رضى ، انه مفجوع موتور .

فاطّرحه معاوية لمكان هذا الطعن والتعريض بالتشنيع ، وعزله من إمارة العراق وقطع عنه روافده ، ففل ما في يديه قلة بات معها معدماً ، وغدا مثلا للبؤس المالي والشقاء النفسي .

وتحت الحاح البؤس عليه ، تذكر أنه كان قد استودع اريئب مالا عظيماً ، وتذكر أنها اضحت في عصمة الحسين وهو لن يدع لها سبيلاً للانتقام منه (فتجحده اياه لطلاقها من غير شيء) . فانتقل الى المدينة ولقي الحسين وذكر له ذلك ، وهو في شكل الضحية الشقية والفريسة الطرية ، التي لم تزل آثار انياب السبع بارزة فيها ، راسمة أنكر آيات وحشيتها ، فرثى لمرآه ورق له كثيراً وواساه كثيرا . فدخل الحسين عليها وحضها على رد ما له اليه ، فقالت :

(ها هو بطابعه لم امسسه) .. وقصد الحسين ان يدخله عليها بشقائه ، فلا بد ان تتلقاه بشفقتها وحنانها دون غلظة اوجفوة ، وكذلك كان . فتلاقيا واستعبرا طويلاً في ذهول ووجوم ، وغفلا عن وجود الحسين بقربهما ، فتواقفت نظراتهما مشعّة بالحب والدمعة طافية ، يخيل لمن رآهما أن من وراء عينيهما قلبين يطلان ، ولقد تدانيا كثيراً حتى رسما دائرة تدور فيها لحظة حب نشوى .

وكانت عينا الحسين تشعان بالسرور ، وتشيع الغبطة في نفسه ..

أليسا قد عادا سعيدين وهذه كل سعادتي ؟ ..

اما نفخت في الضحايا روح الحياة وهذا هدف حياتي ؟ ..

اما انتشلت الفريسة من انياب الذئاب ، وهذه غاية الانسانية الكبرى وفيها كل هناءة الخلد ؟ .

هكذا راح يقول بينه وبين نفسه ، فخلاّهما في نشوتها الحالمة وقد تخلى عنها ..

عبد الله العلايلي

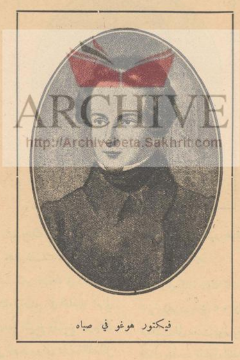
فيكتور هوغو

◆

في العام ١٨٢٧ اصدر فيكتور هوغو طبعة جديدة من ديوانه الاول Odes et Ballades فتناولها سنت بوف بنقدتين في جريدة « الكرة » Le Globe رضي بهما الشاعر – وفي الندر ما كان يتحمل وخذ الدبابيس – وصور له ان درساً رصيناً كهذا يستحق منه زيارة شكر ، ولم يكن يعلم ان كاتب النقدتين اصغر منه بثلاث سنوات .

كان فيكتور هيغو في الخامسة والعشرين وسنت بوف في الثانية والعشرين حين تبادلا الزيارات الاولى التي مكنت بينهما روابط الادب والاخاء . ولا بد لنا بهذه المناسبة من القول ان هوغو تزوج من اديل فوشه في العشرين من عمره ، فكانت على اهتمامها بولديها وبما تتطلبه منها مشاغل البيت تفتح باب منزلها على مصراعيه للادباء الناشئين الذين كانوا يترددون على الشاعر ليسمعوا قراءة مؤلفاته كسنت بوف والرسام لوي بولانجه ، والادباء مريمه وده لاكروا والفرد ده فينيي وشارل نوديه والفرد دهموسه وجيرار ده نرفال واسكندر دياس ، والحفار دافيد دانجر وغيرهم . واذ كان هوغو على رأس هذه المدرسة الجديدة التي عرفت بالرومانطيقية فقد كان اصدقاؤه يلقبونه بـ « البارون » على سبيل المزح ، ويلقبون زوجته بـ « البارونة »

كان سنت بوف يتردد كثيراً على دار الشاعر حتى اصبح « من البيت » ففي حين يكون هوغو منهمكاً – خارج البيت – في اعداد قصائده ومناظر رواياته يكون سنت بوف ملازماً زوجته اديل يحدثها في شؤون مختلفة ، تارة في الادب وطوراً في الفلسفة فمن تحليل فكرة اجتماعية الى تحليل الجمال والحب والفن والى غير ذلك ، وكانت تطرب لحديثه من غير ان تخالجها اية ريبة حتى تعودت مجلسه وصارت تحس بانها لا تستطيع الاستغناء عنه .



فيكتور هوغو في صباه

وكان هوغو كمعظم الرجال يحسب زوجته جزءاً منه فلا يرى حاجة الى التحدث معها في غير المواضيع الزوجية ، الا ان المرأة تميل بفطرتها الى الرجل الذي ينظر اليها كما ينظر الى نفسه ، لاسيما اذا كان هذا الرجل ذكياً واديباً كسنت بوف .

بقيت الصداقة بين سنت بوف وزوجة هوغو ثلاث سنوات لم يطرأ عليها ما يعكر صفوها ، وبديهي ان الشاعر كان يجهل

شعور سنت بوف نحو زوجته اذ لم يكن يتك فيه بل كان يستزيده من الزيارات اليومية . ولكن هذه الحالة لم تدم طويلا فما لبث هوغو ان لاحظ ان العلايق بين صديقه وزوجته لا تقتصر على صداقة بريئة فاختلى بسنت بوف وجامنه ان يطلعه على خفايا نفسه فلم يكتم عنه صديقه الحقيقة الموجعة . سوى ان الشاعر كان من نبل الاخلاق بحيث لم يغضب على صديقه بل اخذ يتوسل اليه ان يسعى لقمع عاطفته وارجاع الراحة والسلام الى بيته . سوى ان الالم كان صادراً عن جرح عميق في قلب سنت بوف فلم يقو على محوه والسيطرة على نفسه فكتب الى الشاعر رسالة قال فيها :

« لا استطيع ان املك نفسي يا صديقي . فلو عرفت كيف اصرف ليالي واي عوامل تنتابني لاشفقت عليّ وتمنيتني ميتاً !.. وآحسرتاه! ابوسعك ان تتصور ماذا احس كلما ذكر اسمك امامي وكلما انتهى الى مسمعي حديث عن زوجتك ؟ يخيل اليّ احياناً انني في ساعة من اليأس المزوج بالغضب تحدثني بان اقتلك قتلًا : اغفر تلك الساعة الفظيعة ، ولكن فكر قليلًا في الفراغ الذي تتركه محبة كهذه . ماذا تقول ؟ الم يبق يحق لي ان ازورك او ان اضع قدمي على عتبة بيتك ؟ لا اجهل اني استحققت مقتك ساعة ولج الشك الى اعماق نفسك ، ومنذ صارت زوجتك لا تستطيع ان تنظر الي ما لم تستشر غيرتك في ذلك ، لم يبق لي الا تعزية واحدة وهي انني عندما اصبح في العالم لا ام لي اتعهدها ولا حب امرأة ارجوه ، عندما اشيخ وتشيخ زوجتك — من يعلم ؟ — واعود الى الدين النقي الصارم والى ممارسة الفضائل تسمح لي — يا صديقي — بعد ان تفرض عليّ التكفير — بان اصرف اواخر ايامي تحت سقفك بالقرب من امرأتك وهي وحدها جديرة بك ، وداعاً . »

فأجابه هوغو في اليوم التالي برسالة جاء فيها : « لا ينبغي لنا ان ندفن صداقتنا بل يجب علينا ان نحافظ عليها نقية مقدسة كما كانت، وليكن كل منا رحوماً ، الك جرحك ولي جرحي ، فلندع الوقت يختمهما . »

كانت رسائل سنت بوف جميلة لانها طافحة بالعذاب والالم ، وكانت اجوبة هوغو جميلة ايضاً لانها طافحة بالتعزية المزوجة بالالم !

قال رودانباخ في حديث له عن فيكتور هوغو نشره في جريدة الفيغارو في ٢٨ من كانون الاول سنة ١٨٩٦ : كما بدت لنا اشخاص كورنيل فوق الطبيعة هكذا رأينا هوغو يتمسك بحب امرأته التي لم يشك فيها ويتمسك في الوقت نفسه بصداقة سنت بوف الذي يشفق عليه ويحبه ويؤثره على جميع اصدقائه . »

سانت بوف

والواقع ان هوغو المسكين رأى نفسه مضطراً لان يتدلى حتى الى الوقوف في وجه اعز اصدقائه لانقاذ شرف بيته . ولقد سمعناه يقول لسنت بوف في رسالة بعث بها اليه في ١٨ من اذار ١٨٣١ : « لقد اضطررت في وقت من الاوقات لان اختار بينك وبينها . »

ويعتقد الكاتب غوستاف سيمون ان فيكتور هوغو اقترح على سنت بوف ان يدع زوجته تختار بين الاثنين ..

وفي اثناء ذلك كان هوغو على وشك الانتهاء من رواية « نوتردام ده باري » . وفي ١٧ من آذار صدرت هذه الرواية فكتب الى سنت بوف يقول : « ان سنة ١٨٢٠ مرت يا صديقي، فتعال بعد غد نتناول الغداء معاً على مائدتي . » ولكن الحديث الذي جرى بين الاثنين في ذلك الوقت لم يخل من ذكر الرسائل التي تبادلاها قبل سنة ، غير ان سنت بوف لم يجد بداً من الرجوع الى الوراء ليحظى بالتفات اديل ، زوجة الشاعر ، فتناسى الماضي ونزل على طلب صديقه بان كتب مقالا طيباً في « نوتردام ده باري »

فسر الشاعر سروراً عظيماً لاعتقاده ان مقالا خطيراً من قلم سنت بوف يؤثر في شهرته ويضيف حلقة الى سلسلة مجده ٠

وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٨٣١ اصدر هوغو ديوان « اوراق الخريف » فلما تناول سنت بوف نسخة منه خف الى كتابة مقال عنه نشر في « مجلة العالمين » ولم تلبث الصداقة ان اخذت تتشح بوشاح من النفور ٠ وسرعان ما قطع بين هوغو وسنت بوف من جهة وبين الشاعر وزوجته من جهة اخرى ، لان هوغو ترك نفسه تستسلم الى حب ممثلة تدعى جولييت دروه ٠ ومنذ ذلك الحين بدأت اديل فوشه — زوجة الشاعر — ترى الجلجلة امام عينيها ٠ سوى ان خيانة هوغو لزوجته كانت امراً منتظراً لان « محبة » زوجته لسنت بوف و « حب » سنت بوف لزوجته كانا قد خلقا وساوس وشكوكاً احتملها طويلاً حتى صار يعجز عن احتمالها ٠ اما السبب الحقيقي الذي دفع الشاعر الى حب جولييت دروه فكان الظمأ الشديد الى حب لم يكن يجده في زوجته او في الزواج ٠

قال ليون بلوم : « ان علاقة فيكتور هوغو بجولييت دروه دفعت اديل هوغو لان تسلم نفسها الى سنت بوف تسليماً مطلقاً ٠ » ويريد بلوم بهذا أن علاقة سنت بوف بزوجة الشاعر كانت مقتصرة على محبة عفيفة حتى سنة ١٨٣٣ ، اي حتى السنة التي استحكم فيها الحب بين هوغو وجولييت ٠

في منتصف شهر آذار من سنة ١٨٣٤ نقل احد الادباء الى سنت بوف كلمات قالها هوغو بحقه فأرسل النقادة الى الشاعر كتاباً جاء فيه : « ارجو منك ان تقف عند حدك ولا تتعداه ، فانا لا اريد ان استعمل الفاظك في اهانة الغير، الا اني اقول لك : «انظم لنا قصائد جميلة وسأسعى الكتابة نقدات رصينة ٠٠ عد الى عملك

واعود الى مهنتي ٠ » فاستاء الشاعر من هذه اللهجة فأجابه برسالة قال فيها : « وداعاً يا صاحبي ، وليدفن كل منا في السكون انت الذي مات فيك وانا الذي قتلته رسالتك فيّ ٠٠ »

وظهر ديوان « اغاني الشفق » فتناوله سنت بوف بصفحة هي في الواقع سهم سام رشقه النقادة بيد واثقة من فنها في الرماية ، الا ان هوغو لم يستطع الرد او انه لم يتدل الى ذلك ٠ وبعد مرور بضعة ايام التقى سنت بوف وفيكتور هوغو في وزارة المعارف فاجتنب النقادة المرور بالقرب من صديقه وقال لاحد رفاقه : « كنت وددت ان ارمي شيئاً على رأسه ٠ » فبلغ الشاعر هذا الكلام فأرسل الى سنت بوف شهوداً يطلبونه الى البراز ، غير ان اديل هوغو تدخلت في الامر وحالت دون هذا البراز ٠ ولكنها كانت قد استاءت جداً من مقال سنت بوف في « اغاني الشفق ». وتبين لها ان حبيبها لم يبق صديق العام ١٨٣٠ وشعرت بصغارة ذلك الذي احبته في الماضي ولا تزال تحبه ٠


زوجة هوغو

ومنذ ذلك الحين، اي منذ العام ١٨٣٧ ، وضع الحد الفاصل بين سنت بوف واديل هوغو ٠ وقد قال النقادة لاحد اصدقائه : ولقد اصبحت امقتها ٠٠٠ أما زوجها فقد تمر مياه الاوقيانوس على الجرح الذي سببه لي من غير ان تفسد ٠ »

ومنذ ذلك الوقت ايضاً اخذ سنت بوف ينظم قصائد من الشعر الغرامي ضمنها حياته مع اديل هوغو ومن يقرأ هذا الديوان الذي سماه « كتاب الحب » يرى ان سنت بوف ملك اديل هوغو من جميع اطرافها ويتضح له ان النقادة لم ينشر كتابه الا انتقاماً من هوغو المسكين وزوجته المسكينة ، ولا يشك في انه انقاد لعاطفته الصغيرة ، العاطفة الخسيسة ٠

كان هوغو جميلا ملتهباً بلظى الشباب وفي اوج مجده ، وكان

سنت بوف بشعاً ورديء الاخلاق ففي احد الايام كان هوغو في حلقة من الادباء فسمع احد البلهاء يقول: «ان الزوج المخدوع رجل مضحك» فضرب المنضدة بيده وقاطع المحدث بقوله: «اعلم يا هذا ان جميع الرجال العظماء مخدوعون لقد خدع نابوليون وخدعت انا كذلك» فلا شك ان رجلاً كهذا يحتاج دائماً الى قلب يشكي عليه.

واعيد تمثيل مسرحية «لوكريس بورجيا» للشاعر، وكان دور الاميرة نيكروني بيد ممثلة جميلة جداً تدعى جولييت دروه.

وجولييت دروه هي الزوجة الحقيقية التي صادفها فيكتور هوغو فقد شاء ان ينتقم من زوجته الضعيفة فلم يجد لذلك افضل من جولييت التي اخلصت له الحب حتى آخر ايامها:

قال هوغو لمدام دروه: «لقد استسلمت في الحياة استسلاماً مطلقاً للمخلوقة التي أحببتها والتي كانت تقول انها تحبني. ولكني خدعت ولا اريد ان اخدع مرة اخرى. ولذلك احب ان اختبرك. لديك كثير من الدراهم وكثير من الرجال الذين يتمنون نظرة عطف منك، عدا انك حصلت مركزاً فنياً قد يزيد مع الوقت كثيراً. ولكني اريد ان تتركي كل هذا وان تتعلقي بي تعلقاً مطلقاً اريد ان تسلكي مدة سنتين حياة صارمة لا ترين فيها سواي. فاذا اتضح لنا اننا نستطيع السير في الحياة يداً واحدة كان ذلك خير ما نتمنى فتقسمين لي ان لا تتركيني واقسم لك ان لا اتركك»

وقد تحقق هذا القسم طوال خمسين سنة، فكانت جولييت دروه الزوجة الحقيقية لفيكتور هوغو، الزوجة الخلصة الوفية، كاتمة اسرار الشاعر ومستشارته.

ومر زمن فاذا الشاعر على قمة الشهرة، واذا جولييت دروه المرأة الحساسة الرقيقة الحسناء، عشيقته الناسكة، نجمته المنيرة، وملجأ حياته الامين.

كان كل سنة يقوم معها بسياحة تستغرق بضعة اسابيع. ولكي لا يفسح سبيلا للظنون كان يصحب معه في سياحته صديقاً له يدعى سلستن نانتويل ويلبسه ثوب الزوج لجولييت.

وصعد نابوليون الثالث الى العرش، وكان عدواً لدوداً لهوغو، فهرب الشاعر الى جزيرة جرنسي بانكلترا صاحباً معه اولاده وزوجته اديل التي كانت ثقلا عليه وعشيقته او رفيقته الامينة جولييت دروه وكانت الدار التي سكنها الشاعر منقسمة الى جانحين فاقامت زوجته وولداه وابنته بواحد منها واقام هو بالاخر. ذلك انه منذ حادثة سنت بوف قطع بينه وبين زوجته الى حد انهما كانا يتراسلان تراسلاً اذا عرض أمر يتعلق بالاسرة.

كان الشاعر ينهض في الساعة الخامسة والنصف او السادسة صباحاً فيذهب الى غرفة صغيرة في اعلى الدار فيقف امام لوحة من

جولييت دروه

الخشب وينصرف الى الكتابة حتى الظهر . ثم ينحدر الى غرفة الزينة فيمسح جسمه « بماء الكولونيا » من رأسه الى قدميه على نحو ما كان يفعل بونابرت ، ثم يرتدي ثيابه ويتناول الطعام . اما عدد الصفحات التي كان يملأها كل صباح فكان يتراوح بين السبعين والمئة

وبعد الغداء يذهب الشاعر الى مأوى « العشيقة » فيبقى عندها حتى التاسعة ليلاً ثم يعود الى المأوى الذي لا يحق لنا ان نسميه بـ « المأوى الزوجي » .

استمرت هذه الحياة التي سببتها هفوة اديل هوغو ثماني عشرة سنة ، اي الى وفاة اديل . ومنذ ذلك الوقت سكنت جولييت دروه مع الشاعر فكانت بالقرب منه ما كانت المركيزه ده مانتنون بالقرب من لويس الرابع عشر ، اي المرأة المعزية الحكيمة . وكانت تعبده بكل ما في عروقها من الحب وما في روحها من الرعشة .

هوغو في مكتبه .

نيسان

راقني نيسان
في ربى لبنان
والضحى بسّام
يوقظ الاكام

الصبا مياس
في ظلال الشجر
والهوى انفاس
جوها استعر

الشذا الفواح
يغمر الجنات
وكؤوس الراح
تنزل الآيات

وشوشات الصبا
وعناق الورق
واخضرار الربى
سكرات الشفق

النسيم في الورود
يتهادى ويعود
للسقيم
فيرى الانوار
من نقاب الالم
ومن الاطيار
يستمد النغم

الامان في السواقي
رمز شوق وتلاقي
للحسان
صاح هيا بنا
ننشد الالحان
الروابي لنا
ولنا نيسان

فيليب م . البستاني

دخيلة الاديب

بقلم الانسة فلك طرزي

كثيراً ما يتساءل الناس : كيف يعيش الاديب وكيف ينتج آثاره وكيف تنبعث منه هذه المعاني التي لا تنبعث ولا يمكن ان تنبعث من غيره ، بل كيف تختلج الحياة في قلبه وهل لهذا القلب ميزة أو فردية تجعل للحياة صورة خاصة فيه . فهو ابداً موضع تساؤلهم واستغرابهم كأن الفطرة التي جبل بها هي غير فطرتهم ، وكأن الروح التي كونته هي من نوع غير ذاك الذي كونهم ، وكأن مادة الحياة عند انصبابها فيه تستحيل مادة اخرى تختلف عن تلك التي فيهم . حقاً ان حياة الاديب واطوار الاديب ، وخصائص الاديب امور تثير تساؤل الناس ودهشتهم وملامهم احياناً وتحمل اولئك الذين لا يقدرون البواعث الاساسية عليها تحملهم على التعجب من سيرته واستغراب امره ، غير ان ذاك العجب يبطل وهذه السيرة تبرر عندما يعلمون ان حياته ليست الا نتيجة لاطواره وخصائصه ، وان هذه الاطوار ليست الا قاعدة من القواعد التي يرتكز عليها انتاجه . بين حياته واطواره اذن صلة يوضحها هذا الانتاج ، وبين نفسه وهذا الانتاج رابطة تنقل الحياة من احدهما للاخر وتوجد بينهما تلك الوحدة الفنية المتينة الاواصر والاسباب .

ان فردية الاديب واختلافه عن بقية الناس قائمان على فوارق اساسية بينهم : قائمان على تفوق حواسه على حواسهم من حيث القوة والرهافة وسرعة التأثر ، ومن حيث التقاط المعاني والمحسوسات التي ترشده اليها كل من هذه الحواس . فما يراه الاديب لا يراه غيره ، وما يسمعه الاديب لا يسمعه سواه ، اذ كل شيء يقع عليه بصره يتوارى خلفه معنى ووراء كل معنى يختفي نغم وايقاع لهما في نفسه صدى وترجيع . وقد يكون هذا الامر في طليعة الاسباب التي تجعل من الاديب المشعل الذي ينير مراحل التطور في التاريخ . فمعظم النهضات التي قامت في الامم فأجرت تطوراً فيها قد بشر بها ادباء وتنبأوا بحدثانها فكانوا خلال عصرهم مثال السخرية لدى بعض الناس وموضع السخط لدى البعض الاخر . غير ان الايام التي عقبت تبشيرهم ونبوآتهم ثم التطورات المختلفة التي جرت خلالها ايدت جميعها هذه الاقوال والنبوآت ودعمتها باقوى واصدق الدعائم . ولست اريد بقولي هذا تمجيد الاديب الى حد ارجاعي اليه الفضل في احداث كل تطور ونهضة فان امر هذه متعلق باسباب شتى منها المباشرة وغير المباشرة قد اشتركت عدة عوامل في بعثها واجرائها كعامل توسع العالم مثلاً بسبب الفتوحات الجغرافية او كعامل رقي الصناعة وازدياد الانتاج بسبب التطور الاقتصادي . فما اريد قوله هو ان الاعلان عن هذا الحدث والتنبؤ به لا يمكن ان يأتي به سوى الاديب وذلك لان رهافة حواسه واحساسه قديرة على ان تلتقط كل ما تنشر الطبيعة في الجو من رائحة وهمس وقديرة على ان تصله بكل ما تنبض فيها من حياة وما يمكن من امكانية وحيوية . وهل من نبوءة اروع من هذه النبوءة التي اجراها هوغو على لسان بطل من ابطال روايته التي عنونها بتاريخ ثورة ١٧٩٣ فقال : « ان بطون الارض لمفعمة بالكنوز والثروات ، فافصدوا شرايينها تندلق لكم منها السوائل والمواد المتنوعة التي بامكانها ان تقوي مدنيتكم وان تمكن الاواصر بينكم ، وتدر عليكم من خيراتها ما يجعل حياة جميع الناس في مأمن من الفاقة والجوع . اخرجوا منها المياه ثم جروها في قنايا تنظم سيرها وتوزيعها على البيوت . اخرجوا من احشائها المحروقات المختلفة التي تصل الامم بعضها ببعض . ما هو الاوقيانوس ؟ قوة جبارة وثورة لا حد لها ولكنها ويا للاسف غير مستثمرة ! .

فانت ترى بل يتبين لك من اقوال هوغو هذه ان الاديب موسوم بطابعين اساسيين : طابع الرؤية وطابع السمعة ، فهوغو بنبوآته هذه كان يرى بعينه النافذة دنيا المستقبل وما يملأها من تلك المعامل الصناعية التي تصقل فيها وتهذب انواع المواد الاولية المنتزعة من بطون الارض ومعادنها . وكان يسمع باذنه المرهفة ازيز الآلات وهي تدوي داخل هذه المعامل وتنفث دخانها القاتم في الجو ، كان يسمع صوت المعاول وهي تعمل في الارض نبشاً وحفراً لتستخرج منها كنوزها او لتمد عليها الخطوط الحديدية التي تصل مشرق العالم بمغربه وتربط ادناه باقصاه . ثم ان الخصائص التي يتميز بها الاديب من سواه من الناس تجعل منه كوناً آخر مستقلاً عن الكون ومتصلاً به فهما ينطويان على نفس الصفات والمميزات : تجيش فيهما نفس عناصر الخلق والابداع وتتنازعهما نفس ميول الانطلاق والثورة والانعتاق من كل جامد بال .

الاديب كون بأسره يسير ويتحرك ، كون ببحاره وجباله ، بسعته وضيقه ، بقوته وضعفه ، بعواصفه وسكانه ، وبكل نوع من انواع بشائره ومخلوقاته ! الاديب كون يسير مثقلاً بمحتويات الطبيعة : بما يمشي فوق ارضها ، ويحلق في اجوائها ، وينتشر في فضائها ، مثقلاً باللانهاية التي تضمها « نهاية محدودة » هي نهاية جسده ، مثقلاً بالرؤى والاشباح وشتى الحيوات التي تضطرب فيه ويصطدم بعضها ببعض !

يجتاز الاديب كما تجتاز كل نفس اطواراً مختلفة في حياته ، وتضطرب فيه كما تضطرب في كل نفس انفعالات ومشاعر ، غير ان هـذه جميعـاً تتحول فيه الى قوى هائلة ، يجتبسها كل مـا تتكون منه مجموعة نفسه مـن حواس وادراك وحيـوية التي تخضعها الى سلطانها لكي تنميها وتنضجها ثم لكي تخرجها حقائق انسانية خالدة ، بعد ان تكون قد مزجتها بها وجعلتها قطعة حية منتزعة من صميمها . وكما ان الاديب كون يجتمع فيه جمـيع محتويات الكون فنفسه ايضاً يتوزع اجزاءها هذا الكون ، فيلتقط كل جزء منها ما يعلق به منه ، ثم يحمله الى اللاوعي فيها لكي تحتبسه في ظلمتها المنيرة وكما يسري دبيب الحياة في الغرس وهو بعد جنين في احشاء الارض يمتص ماء هذه الحيـاة منها حتى اذا اكتمل فيه تكوينها شق سبيله الى النور من صميم هذه الاحشاء كذلك تتكون اجزاء مـا تلتقطه النفس ويسري دبيب الحيـاة فتنمو التجربة — على حد التعبير الفلسفي — وتترعرع في دخيلة هذا اللاوعى الى ان تشق سبيلها الى النور من اعماق الظلمات .

فاطوار الاديب اذن ليست كاطوار بقية الناس وسيرته لا تشبهها سيرة بقية الناس لان كل نفس من هؤلاء الناس لاتحمل سوى ذاتها وحياتها بينما نفسه تحمل حياة كل نفس ونفس كل انسان، وقلبه تتجاوب فيه اصداء كل قلب واللاوعي فيه ميدان لكل نبت ولكل غرس . ثم ان الاديب ليس الروح التي تترجم عن معالم عصره وتسجل مختلف اطواره واحداثه فحسب ، انما هو روح الانسانية المتألمة الحيرى التي يفيض ينبوعها ابداً رغم اضطرابها وآلامها بالامل والعزاء ؟ . الاديب قادر على النفاذ الى العميق من اعماقك ليكشف عن كل خفية من خفايا نفسك بعد ان يعريها من انواع الالبسة والاقنعة التي فرضت عليك الاوضاع والتقاليد الاجتماعية حملها وارتداءهـا وذلك دون ان يعرفك او تعرفه سوى انك نفس انسانية تتمشى فيهـا الحياة ويصطرع فيها ابداً عنصرا الروح والمادة ! هو رفيق المظلوم والبائس ، ومرشد الظالم بانعم الاساليب الى سبل العدل والحلم . هو رفيق حياتك ونفسك بل هو متصل بك ابداً لان نفسك وما تتأثر به من انواع المؤثرات كامنة فيه . هو يتحدث الى كل شيء ويسأل كل شيء . لان كل شيء من حوله له حياة ونجوى وله ضحك وبكاء ! فكم من مشهد يتراءى للعين تافهاً فلا تأبه به ولا تكترث لكنه يتحول تحفة تفيض بالروعة والجلال عندمـا يظهرك عليه الاديب وقد اتسم بطابع فنه وعبقريته . وكم من قصص وتحف تزخر بالحياة وبمختلف الوانها انبعثت من هذه المشاهد حين انطبعت صورتهـا في نفس الاديب وحين اخذت توسع فيه افق التصور والتخيل والابداع . ولولا ضيق المجـال لاوردت لكم الامثلة الكثيرة التي تؤيد هذه الحقيقة .

اذكروا كلما حدثتكم نفوسكم بالحقد على الاديب ولوم اطواره ، البـواعث والاسباب التي تجعل له هـذه الاطوار على الرغم منه ، واذكروا ان شفيعه لديكم هو مشاركته اياكم ازماتكم المعنويـة ونزعات قلوبكم وانفعـالات ضمائركم ، اذكروا انه معكم في كل حين ومكان ، يشرف على كل حال من حالاتكم النفسية فلا يتقيد في حكمه عليها بالقيود بل ينطلق الى ما وراء حدود العقل والمنطق لكي ينظر اليها بعين ارحم وارحب من بقية الاعين ، عين يشع منها بريق الصفاء والتسامح ، اذكروا انه يشعر بالم كل انسان واوجاعه ، ويحس ذل الذليـل واضطهاده فيحاول بكل وسيلة رفع انيـار الذل عنه في سبيل صيانة الكرامة الانسانية التي هي في طليعة مـا يصبو اليه من اهداف ومثل عليا .

فلك طرزي — دمشق

التقبيل

بقلم الدكتور نقولا فياض

◆

ديمقريط فيلسوف يوناني للقرن الرابع او الخامس قبل المسيح جاب بلاد فارس ومصر ودرس الرياضيات والطب والفلك والحيوان والنبات وانتهى في ابحاثه الى الجواهر الفردة فجعلها اخر ما تصل اليه المادة في تجزئها ومنها تتألف العوالم والكائنات حتى الروح فهي مركبة من جواهر فردة تستطيع بشكلها الكروي وما فيها من خاصة السائل ان تدور خلال الجسم ومتى تبددت وذهبت ذهبت معها الروح . وله ادب خاص يضاف الى هذا العلم الوضعي قوامه الارادة فعلى الانسان ان لا يغرم بشيء ولا يخاف من شيء وان يطلب الخير الاسمى في هدوء النفس وصفاء الخاطر .

وليس قصدي الان ان اشرح مذهب هذا الفيلسوف ولكن تذكرت في عرض موضوعي عن التقبيل عملاً غريباً يرويه التاريخ عنه وهو انه اقتلع عينيه كي لا يرى النساء فيشغلنه عن تأملاته الفلسفية . وهو عمل ان صح فللمرأة الحق بالتيه والمباهاة لانه يدل على بعد اثرها وسعة سلطانها . على انه قد يمكن ان يكون جلبه العمى لنفسه ليهرب من رؤية القبح والشناعة او نفوراً وتقززاً من النساء بعد ما رأى وقاسى منهن . وكم يكون لذهاب عينيه شأن في عيون الناس واعجاب ما بعده اعجاب لو انه فعل ما فعل حباً بامرأته الجميلة وضناً بصورتها لتبقى في ذهنه كما عرفها ولا يرى فيها اثراً لعبث السنين ومساوىء الهرم . سواء طلب العمى انتقاماً او كراهة او غيرة فهو قد تخلص به من سلطة اهم الحواس على العقل وهو البصر الذي يفوق الشم والذوق واللمس والسمع فيوسوس له كالشيطان ويدخله في التجربة ، تجربة القبل .

وقد كتبت قبل اليوم في هذا الموضوع ولا يزال المجال واسعاً للعودة اليه . رب معترض يقول ماذا تريد من عادة دخلت في ذمة الدهر لتقادم العهد عليها ، وصارت مرتبطة بالوجود ارتباط الجسم باعضائه؟ ماذا يهم اذا اساء الناس استعمالها فيما مضى فحملوها وصمة عارهم وجعلوها وسيلة الغدر والخيانة فباع بها يهوذا المسيح وقتل بروتوس القيصر ، وحرمها كاتون على الزوج امام البنين ، ونفي من اجلها احد حكام روما . الم تكن القبلة عربون المحبة والحنو والسلام وعرفان الجميل ؟ كم من الرجال من طاشت به الحدة والغضب فارجعه الى الصواب قبلة من المرأة وكم دمعة لهؤلاء الصغار نشفتها قبلة الام ؟

في خرافات الاقدمين ان فانوس او عشتروت رأت حفيدها الصغير نائماً بين الازهار فاعاد الى ذهنها تذكار حبيبها ادونيس واحست بالحاجة الى تقبيله ولكنها خافت ان يستيقظ مذعوراً فدارت من حوله على الورود تقبلها بحرارة الى ان ثملت بشذا هذه القبلات وعادت كالسكرى وحينئذ اقبلت الحمام البيض وحملتها على اجنحتها تطوف بها العالم فتزرع في سكرها قبلة في كل مكان . وكما انزل الله على اسرائيل المن والسلوى في التيه اطلعت الارض مكان الزرع من القبل المخدرة فصارت القبلة سلوى العاشقين وتعزية المبتلين .

ليست القبلة لساناً ولا عيناً ولا روحاً ولا دماً ولكن فيها شيئاً من العين واللسان والدم والروح لانها لغة القلب البشري وترجمان معانيه الخالدة ، ولكم اعربت عما تضيق عنه فسحة الكون فهي للعواطف المضطرمة كالانبوب الذي يندفع منه البخار اماناً للمرجل من ان يتصدع وتريد ان تحرمنا اياها .

ثم ماذا نترك للمصورين والشعراء اذا نزعت هذه الحلقة الجميلة من سلسلة تصوراتهم ؟ قال المعري :

كم قبلة لك في الضمائر لم يُفد   فيها الحساب لانها لم تكتب

وقال آخر :

دنوت وقد ابدى من السكر ما ابدى   فقبلته في الخد تسعين او احدى

وقال ثالث :

عَذُبَت في الرشف منه شفة   مصها اطيب من نيل الامل
وعليها حمرة في لعس   تستعيد اللون من صيغ الخجل
هي فيا خِلتُ اثار دم   من فؤاد علَّ فيها ونهل

وقال رابع :

ياضاحكاً يستهل مضحكه   عن برد واضح وعن شنب
اعطيتني قبلة رشفت بها   الشهد مشوبا بدمعة العنب
كأنني اذ لمست فاك بها   لثمت تفاحة من الذهب

وقال خامس :

البدر لا يغنيك عنها اذا   غابت وتغنيك عن البدر
في فمها مسك ومشمولة   صرف ومنظوم من الدر
فالمسك للنكهة والخمر   للريقة واللؤلؤ للثغر

ولكن ما العمل بالاطباء فقد وجدوا للتدخل في كل امر فلا طعام ولا شراب ولا حركة ولا لباس الا لهم فيه رأي ونظر فهم على حدما قال موليير يدخلون اصبعهم في الشجرة بين القشرة واللباب . لقد طلعوا علينا بقصة هذه الكائنات المتناهية في الصغر المسماة بالمكروب . وخوفوا الناس من دهياء مظلمة اذا تراءت لهم اشباحها وقالوا ان فم الانسان ملتقى الملايين منها حتى في حال الصحة من مكروب السل الى التيفوئيد الى الخناق وغيره . واذا كنا لا نتأثر بها كل حين فلأن فينا قوى طبيعية للدفاع تسهر علينا . بل ذهبوا الى ابعد وقالوا ان في الفم جراثيم لا اذى منها وبعضها نافع في الهضم لتأثيره فيما يخالط الطعام من المواد النشوية والزلالية والسكرية بين تذويب وتحليل ولكن هذه الميكروبات النافعة عينها قد ينقلب نفعها ضرراً اذا فسدت البيئة فتسبب بخر النفس وربما شاركها غيرها فاضاف الى خبث الرائحة تسوس الاسنان وحالات شتى من التسمم . وبعد هذا اذا اتيت اليوم طبيباً تشكو اليه صداعاً في الرأس او ألماً في الرجل او غير ذلك اشار عليك قبل كل شيء بفحص اسنانك وقلعها اذا اقتضت الحال .

فاذا عرفت هذا عرفت وجه الحكمة في اجتناب التقبيل والسعي في ابطال هذه العادة الكثيرة الخطر على المقبِّل والمقبَّل .

وليس خطر العدوى وحده ما يدعونا الى خلع نير التقبيل فاني لا اجد معنى ادبياً او اجتماعياً في هذه القبل التي يتبادلها الناس عند السلام والتوديع او في الزيارات فتصير الخدود مباصق والشفاه مماسح ومن ينظر الى النساء يقبلن بعضهن بعضاً كلما اجتمعن وافترقن لا يتمالك من الاستغراب والاشفاق فقد تكون المسكينة ممن تؤذيهن رائحة البخور فكيف برائحة العرق وانفاس الفم الكريهة .

اياك ان تعتقد ان ابطال هذه العادة مستحيل فهي على قدم عهدها يجهلها نصف العالم فان جزائر ما وراء « هايتي » في المحيط وأهل واستراليا والجهات الشمالية من اميركا لا يعرفونها وبعض قبائل العبيد في غرب افريقيا لم يلطفوا خشونة عواطفهم بالقبل وكذا قل في القبائل التي اصطلحت على قطع شفاهها وابدال قطعة خشب منها كما في بعض جهات البرازيل والسودان واواسط اسيا . والمغول يعتاضون عن التقبيل بالشم وسكان جزائر الهند وملقا وكرجا واسكيمو يتصافحون بحك الانف على الانف .

وقد ادعى بعض العلماء ان التقبيل بقية من بقايا التوحش ايام كان الانسان يأكل الانسان وكان المصارع يداعب مغلوبه بالعض الشديد . فالقبلة عضة ولكنها خفيفة لحسن حظ خدودنا وشفاهنا، ورثناها عن الاسلاف الذين كانوا يدللون بها على رقة عواطفهم كما يفعل الحيوان . فان الحيوان يبدأ بالعض الشديد بالاسنان ثم ضعيفاً بحك الشفاه او المنقر ثم خفيفاً بلمس اللسان وهل كان لحس الكلب ليد صاحبه الا تقبيلاً .

ولو القينا النظر من ورائنا لرأينا في التاريخ شواهد على كراهة الناس للتقبيل قبل ان يعرفوا اضراره فقد كانت في روما حملاً ثقيلاً على الطبقة الوسطى واهل لندن يستقبحونه ويعيرون به الفلاحين ولا يزال الانكليز الى اليوم يستغربون تقبيل الاوربيين اولادهم عند السفر او العودة .

ونحن اذا لم نقدر على نسخ القبلة من عاداتنا وتركها حبراً على ورق كما يقال « غب تقبيل ايديكم » فلا اقل من ان نصونها من الابتذال فلتبطل كل قبلة يدفع اليها الرياء والتزلف والمجاملة الكاذبة ولتحيا قبلة الحب والزواج لان الحب والزواج اساس المجتمع .

نقولا فياض

غفوة ! ! !

هدأ الموج على صدرك والخاطر اغفى
غير حلم عابرٍ في ثغرك الاحمر رفّا

آه منه جانح يغنج او منقر زهوِ
صامت اللحن يلوي الريش في أعمق صحوِ

الجلال الحلو واللغز على الوجه الحبيبِ
كقوافٍ ملهمات في فم حادٍ غريبِ

انا في شاطىء معناك غريق في ذهولي
زورقي المحطوم لا يسمع في القاع عويلي

كيفَ ؟
من اينَ ؟
ويدعوني الى النور العباب
غص بي ريقي ولي شوق يمنّيه الشرابُ

آه ملء الأبد المجهول ملء الأزلِ
كل شيء لكِ لكن كل شيء ليس لي

علي محمد شلق — صيدا

العرب بين الفلسفة اليونانية والادب اليوناني

بقلم محمود اللبابيدي

●

في عدد اغسطس ١٩٤٢ من مجلة « الحديث » الحلبية ، تناول صديقنا الاستاذ خليل هنداوي (ملحمة) الشاعر المصري علي محمود طه « ارواح واشباح » فعلق عليها بملاحظات عديدة ، كلها ثناء واعجاب لاحد لهما ، حتى انه حكم بأن هذه القصيدة ، هي أول قصيدة شعرية بلغت من السمو والدقة ، ما لم تعرفه قصيدة عربية من قبل .

ويعلل توفيق الشاعر ، باختياره لقصيدته الجو اليوناني لا الجو العربي ، لان الجو العربي محدود المشاعر محصور الخيال ، ولولا هذا الجو اليوناني لما استطاع الشاعر ان يوفق هذا التوفيق العظيم .

ثم ينتهي الى القول والحكم بأن الفن اليوناني كان اشد ضرورة للعرب من الفلسفة اليونانية ! ويقترح على « الحديث » ان تضع موضع البحث هذا السؤال : « أكان خيراً للعرب تناولهم الفلسفة اليونانية كما فعلوا ، ام الادب اليوناني ؟ » . وانا نعرض كلمتنا في هذا الموضوع على صفحات الاديب الأغر .

١

المعروف ان أول عقل عربي مسلم ، اتصل بالثقافة اليونانية فاعجب بها ، وعكف على درسها ، وأمر بنقل بعض كتبها ، كان عقل امير أموي ، طمع في الخلافة فصرف عنها ، فلم يجد ما يشغله عنها ، الا ان يستزيد منها حتى يبلغ آفاقها . كان هذا الامير حفيد معاوية الاول خالد بن يزيد المتوفي عام ٨٥ ه

ويحدثنا محسن ابن اسحق النديم (الفهرست ص ٤٩٧) عن هذا الامير فيقول : انه كان اول من امر بنقل كتب الطب والفلك والكيمياء في الاسلام ، وانه اشتغل بها كثيراً ، ومع هذا فقد كان خطيباً ، شاعراً ، فصيحاً ، ذا رأي ، جواداً ، حتى قيل له : لقد فعلت اكثر شغلك في طلب الصنعة (الكيمياء) فقال : ما اطلب بذلك الا ان اغني اصحابي واخواني ، اني طمعت في الخلافة ، فاختزلت دوني ، فلم اجد عنها عوضاً الا ان ابلغ آخر هذه الصناعة ، فلا احوج احداً عرفني يوماً أو عرفته ، الى ان يقف بباب سلطان رغبة او رهبة .

ويقول ده بوير (تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٢١) لقد كان اشتغال الامير خالد بالكيمياء بارشاد راهب مسيحي . ويسمي ابن خلكان (الوفيات ج ١ص ٢١١) هذا الراهب ماريانوس .

اذن كان البلاط الأموي لا يخلو من رهبان السريان يكشفون للامراء اسرار الفكر اليوناني ويرغبونهم في درسه ، وليس من المعقول ان نقصر هذا على العلوم الكونية ، فلا بد وان الادب اليوناني والفن اليوناني والشعر اليوناني قد جاء ذكرها والحديث عنها في مجالس هذا الامير وفي مجالس غيره من الخاصة ، مرة بل مرات ، وليس من المعقول كذلك ان لا تجيء المقارنة بين الشعر اليوناني والشعر العربي ويأتي ذكر شعراء اليونانية الى جانب شعراء العربية ، وهذا شيء مفروغ منه في نظري وان كان الشائع غير ما ذكرت .

واذ اقرر ما قررت اجد ان البداهة تؤيده ، فالفاتحون العرب لما وطئت اقدامهم ارض سورية ، وجدوا اليونانية لغة البلاد الرسمية ، فاقصوها عن كافة دوائر الدولة ، الا دوائر المالية ، فانهم ابقوا موظفيها ، وتهيبوا نقل سجلاتها الى العربية ، حتى جاء عبد الملك بن مروان فأمر بنقلها وتعربت ، ومن هنا نستطيع القول بأن اليونانية بقيت حية تسعى من قلب الحكومة العربية طول حكم الراشدين وصدراً من عصر الدولة الاموية ، وبقي نفوذها ونفوذ ابنائها قائماً ردحاً من الزمن الى جنب البلاط الاموي ، مما يشجع على تصور ما ذهبت اليه حقيقة راهنة وليس عروجاً في ملكوت الخيال .

ويظهر ان اليونانية ظلت قائمة متجسدة في المجتمع الاسلامي الى ان انتقل الحكم الى الدولة العباسية ، لا كما يتصورها بعض الكتاب مبعوثة في العصر العباسي نتيجة قيام حركة النقل والتعريب ، بل ان غناء اليونانية الى هذا العهد وتأثيرها في المجتمع الاسلامي ، هو الذي بعث حركة الترجمة هذه ·

ويسرني ان أجد تقريراً للعلامة سليمان البستاني معرب الالياذة (انظر ص ٢٦ مقدمة الالياذة) يساعد على تقوية تصور بقاء اليونانية حية متصلة النماء من العهد الاموي الى العهد العباسي هذه خلاصته : « ان ديوان هوميروس كان معروفاً عند خاصة العلماء في بغداد لعهد العباسيين ، اذ كان يتناشده الادباء من نقلة الكتب المقربين من الخلفاء بأصله اليوناني ونقله السرياني ، ويظهر ان الالياذة كانت منتشرة بين الخاصة ايضاً من بلاد الفرس والكلدان في زمن الدولة العباسية لان «تاوفليس» الذي نظمها بالسريانية كان منجم المهدي ثالث خلفائهم »

ويستدل العلامة البستاني من حادثة ذكرها ابن ابي اصيبعة في كتابه « طبقات الاطباء ج ١ ص ١٨٥ » على ان اليونانية كانت معروفة لعهد الرشيد في بغداد ، تقرأ وتدرس حتى في بيوت الخلفاء ، وان منظومات هوميروس كانت معروفة فيها بين المشتغلين بلغات الاجانب ومعظمهم اذ ذاك من النصارى ·

كل هذا يدل — كما قلنا — على ان اليونانية بقيت حية متصلة النماء الى العهد العباسي حيث قوي نفوذ ثقافتها فبرزت حركة النقل ·

٢

هذه مقدمة لا مفر منها اذا اردنا ان نواجه موضوعنا ، ولكي نصل الى بغيتنا ، علينا ان نضيف على سؤال الاستاذ الهنداوي سؤالا آخر لا بد منه قبل الاجابة على سؤاله الاول وهو :

لماذا اختار العرب دراسة الفلسفة اليونانية واهملوا الادب اليوناني ؟ نضع هذا السؤال ونجيب عليه بما يأتي :

لم يكن للعرب — في الحقيقة والواقع — مثل هذا الاختيار عندما عكفوا على دراسة الفلسفة اليونانية واشاحوا بوجوههم عن الادب اليوناني ، لان المسألة لا تدخل في الاختيار والترجيح ، وانما هي حاجات طبيعية في الامة تدفع بها قسراً لسلوك الطريق التي تؤديها الى تلمس تلك الحاجات · والعرب كما هو معلوم امة ادب لساني وليسوا امة منطق وعلوم طبيعية وفلسفة · وبما ان الفلسفة كانت قديماً تضم اليها مجموعة العلوم ، فمن الطبيعي ان يكون العرب في حاجة الى الفلسفة اكثر من اي شيء آخر ، وتمشيهم في طريق الفلسفة يدلنا على انهم اهتدوا اليها بهدي السليقة والفطرة ، هدي الحاجة الطبيعية التي قلما تخطيء ·

ثم ان اهمالهم الادب اليوناني يجب ان يرد الى اسباب معقولة يومئذ ، وهو ان للعرب ادباً خاصاً هو وليد البيئة التي يعيشون فيها ، فليسوا بحاجة الى ادب امة اخرى ، ولأن مثل الادب اليوناني المتعدد الالوان لا يمكن ان يغذي تلك النفوس العائمة على اوقيانوس الصحراء العربية ، فلم يجد العرب ما يدفعهم الى احتذاء الادب اليوناني بخلاف الفلسفة · ثم ان الفلسفة مما يستعار وليس الادب كذلك اذ العقل في الفلسفة اداة المعرفة وهذا شيء مشترك بين الامم · اما وسيلة الادب وهي العاطفة فما يختلف كثيراً بين امة واخرى وتتسع له الفروق والمقاييس ، فلا يمكن ان يحتذى الا بعد ان تتقارب تلك الامم في الحياة الاجتماعية ·

وبناء على ما تقدم نستطيع ان نقرر ان العرب لم يكونوا مختارين في تفضيلهم دراسة الفلسفة اليونانية على الادب اليوناني ، بل سيقوا اليها من انوفهم بدافع طبيعي هو الحاجة ·

٣

واذا كان الامر كذلك ، فهل يمكن ان نقرر ان استهداء الأمة حاجاتها يمكن ان يستنتج منه ان هذه الحاجات تسوقها حتما الى ما هو خير لها ؟ لا اكاد اتردد في الجواب على ذلك ، بل اني اجزم ان العرب سيقوا الى ما كان لهم فيه الخير كل الخير عن طريق الحاجة التي هي عامل من اكبر العوامل في الحركة نحو الخير الذي نشدوه من غير وعي اكيد ·

وللدلالة على ذلك استعين بتقرير للدكتور لوبون وجدته في كتابه « الاراء والمعتقدات » أورده في معرض بحثه عن تأثير الحاجات التي تتولد في الفرد والامة ، قال : « ان الاحتياجات هي من اكبر العوامل في تكوين الرأي ، وكل تطور اجتماعي ، ولنعد الجوع اكثرها

شدة ، فهو الذي ساق اجدادنا الاولين من الكهوف والمغاور الى سلم الحضارة ... وكلما تقدمت الحضارة فانه يضاف الى قائمة الاحتياجات القديمة احتياجات جديدة . وما الاحتياج الى الأكل والتناسل واللباس والدين والأمور الادبية والكمال سوى عناوين لمقتضيات الحياة . »

فهل باستطاعتي ان اقرر ان من جملة حاجات العرب قبل اتصالهم بالفلسفة اليونانية ، كان جوعاً ذهنياً شديداً ، وتعطشاً فكرياً عميقاً ؟

أجل ، دل على ذلك القرآن ، حين وصف بعضاً منهم بالتفكير وحين لفت البعض الآخر الى التفكر في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار واختلاف السنتهم وتصريف الرياح ، وكل ما حوى هذا الكون . فلما وضعوا ايديهم على تراث اليونان العلمي دون ادبهم ، كان ذلك — في الواقع — استجابة دالة على مقتضيات حياتهم يومذاك ، ودل ذلك من جهة ثانية على ان عزوف العرب عن الادب اليوناني نتيجة طبيعية لعدم حاجتهم اليه .

ولما كانت الحاجة الطبيعية تسوق الى الحضارة كما قرر الدكتور لوبون آنفاً فلنا ان نزعم بأنه كان خيراً للعرب اقتباسهم الفلسفة اليونانية دون الادب اليوناني كما فعلوا .

٤

هنا نلقي القلم قليلا لنجيب على سؤالين لصاحب « الحديث » ما الذي افاده العرب من الفلسفة اليونانية ؟ ثم ما هي الفوائد التي كان بامكان الأدب العربي ان يجنيها ، لو انه انكب على الأدب اليوناني ؟

هكذا يضعنا صاحب الحديث امام سؤالين متلازمين ، فيسلمنا ذلك الى المفاضلة بين الفلسفة والأدب ، خصوصاً على مفهوم الفلسفة قديماً ، لان مفهومها اليوم غير مفهومها بالأمس . فالفلسفة اليوم تدرس مع الادب في شعبة واحدة اي في كلية الآداب لارتباطها به ولانها مثله ليست علماً Faulquié — Précis de philosophie I. P. 9 بينما مفهوم الفلسفة بالأمس كان على انها علم من العلوم ، ولذا كان ينضوي تحت جناحيها مجموعة العلوم بأسرها ، فهي من هذا الوجه — اي على المفهوم القديم — تختلف عن الادب كما يختلف اليوم اي علم من العلوم عن الادب .

وقد اوجز العلماء الفرق بين العلم Science والادب Litterature من ان موضوع الاول قابل للقياس كما قال العلامة فيليكس لودانتك Il n'y a de Science que de mesurable بينما موضوع الثاني لا يسمح بهذا القياس .

فقالوا خذ مثلاً موضوع اي علم من العلوم (علم الطبيعة او الكيمياء) تجد انها لا يسمحان بمحل للتقديرات الشخصية ، فالسرعة في سقوط الاجسام المطلق مقيسة ، والنسبة بين خليط من المواد الكيماوية لاخراج مادة جديدة محددة . وهذه المقاييس بالنسبة لجميع الناس واحدة لا تتبدل ولا يمكن ان يختلفوا فيها . ولكن على الضد من ذلك ما تجد في الادب ، فان زخم احساس ما ، وكذلك جلاء براهين ما ، يتبع غالباً حالة النفس عند كل شخص ، كما هو ثابت من تباين الاحكام في المؤلفات الفنية أو الادبية . (انظر : فولكيه المصدر السابق)

اذن فالفرق بين الفلسفة (قديماً) وبين الادب ، هو الفرق بين العلم والادب . ونخرج من ذلك للقول بأن العرب قد فضلوا العلم على الادب ، حين فضلوا الفلسفة اليونانية على الادب اليوناني .

١ — فما الذي افاده العرب من الفلسفة اليونانية هذه ؟

قلنا قبلًا ان العرب كانوا امة ادب لساني ، ولم يكونوا اهل علم وفلسفة ، وبعبارة اخرى انهم كانوا امة ينقصها التثقيف العقلي والعلمي . فلما التفتوا الى الفلسفة اليونانية واقتبسوها وتوسعوا فيها على ما هو معلوم في تاريخ حضارتهم ، عرفنا انهم قد سدوا هذا النقص ، واستكملوا عدتهم للحياة في اسمى درجاتها . ومعنى هذا ان الفلسفة اليونانية قد اكملت للعرب حياتهم المثلى ، ذلك لانهم كانوا قبلها يعيشون على الادب وهو العاطفة والشعور فحسب ، وتلك حياة ناقصة ، فأصبحوا معها يعيشون على العلم ايضاً وهو حياة العقل والفكر . وهذه مظاهر الحياة التامة في الامة ، اي بيقظة القلب والعقل معاً ، واشتراكهما في مدها باسباب الحياة الكاملة .

لقد صح عن النبي العربي الكريم انه قال يصف العرب « انا امة امية لا نكتب ولا نحسب » فغدوا بعد قليل من الزمن اساتذة اوروبا في الرياضيات وسائر العلوم . قال الدكتور سارطون « ان العقل ليدهش ، عندما يرى ما عمله العرب في الجبر » ويقول الدكتور

ماكس مايرهوف « لقد اسدى العرب جليل الخدمات الى علم البصريات — الضوء — الذي تتجلى لنا فيه عظمة الابتكار الاسلامي » ويقول كاجوري « ان حل المعادلات التكعيبية بوساطة قطوع المخروط ، من اعظم الاعمال التي قام بها العرب » . ويقول الدكتور لوبون « ان العرب هم الذين وضعوا اساس الكيمياء الحديثة باكتشافاتهم وتجاريبهم » ويقول فلوريان « كان للعرب عصر مجيد ، عرفوا فيه بانكبابهم على الدرس وسعيهم في تقدم العلم والفن ، ولا نبالغ اذا قلنا ان اوروبا مدينة لهم بخدمتهم العلمية » ويقول العالم الفرنسي المعروف سديليو « ان نتاج افكار العرب الغزيرة ومخترعاتهم النفيسة تشهد انهم اساتذة اهل اوروبا في جميع المرافق » .

هذه صورة موجزة لتبدل حال العرب — عن طريق الفلسفة اليونانية — من حياة ناقصة الى حياة كاملة ، فلنأت بصورة اوضح .

يقول درابر في كتابه « تاريخ الارتقاء العقلي في اوروبا » : ومن عادة العرب ان يراقبوا ويمتحنوا ، وقد حسبوا الهندسة والعلوم الرياضية وسائط للقياس به وبما تجدر . ملاحظته انهم لم يستندوا فيما كتبوه في الميكانيكيات والسائلات والبصريات على مجرد النظر ، بل اعتمدوا على المراقبة والامتحان ، بما كان لديهم من الآلات ، وذلك ما هيأ لهم سبيل ابتداع الكيمياء ، وقادهم لاختراع ادوات التصفية والتبخير ورفع الاثقال ، ودعاهم استعمال المربع والاصطرلاب في علم الفلك ، واستخدام الموازنة من الكيمياء ، مما خصوا به دون غيرهم ، وهيأ لهم صنع جداول للجاذبية النوعية وعلم الفلك كالتي اصطنعت في بغداد والاندلس وسمرقند ، بما فتح لهم باب تحسين عظيم في الهندسة وحساب المثلثات واختراع الجبر واستعمال الارقام من الحساب . وكان هذا كله من نتائج استعمالهم طريقة الاستدلال والامتحان ، ولم يقرروا في علم الفلك لوائح فقط ، بل رسموا خرائط النجوم المنظورة في فلكهم ايضاً ، مطلقين على القدر الاعظم اسماء عربية لا تزال تتردد على كراتنا الفلكية ، وقد عرفوا حجم الارض بقياس درجة سطحها وعينوا الكسوف والخسوف ، ووضعوا للشمس والقمر جداول صحيحة وقرروا طول السنة ، وادركوا الاعتدالين ، ولاحظوا اموراً بعثت نوراً باهراً على نظام العالم ، واختص علماء الفلك منهم باختراع الآلات الفلكية لقياس الوقت بالساعات المتنوعة ، وكانوا السابقين الى استعمال الساعة الرقاصة لذلك . وهم الذين انشأوا في العلوم العملية علم الكيمياء ، وكشفوا بعض اجزائها المهمة كالحامض الكبريتيك والحامض النتريك (الفضه) والكحول وهم الذين استخدموا ذلك العلم في المعالجات الطبية ، فكانوا اول من نشر تركيب الادوية والمستحضرات المعدنية وهم الذين قرروا في الميكانيكيات نواميس سقوط الاجسام ، وكان لهم رأي جلي من جهة طبيعة الجاذبية ، ورأي سديد في القوات الميكانيكية ، واصطنعوا في نقل الموائع وموازنتها الجداول للجاذبية النوعية ، وكتبوا مقالات في عوم الاجسام وغرقها في الماء ، واصلحوا في علم البصريات خطأ اليونان بكون الشعاع يصدر من العين ويمس المرئي فيظهره ، فقالوا ان الشعاع يمر من المرئي للعين . وفهموا مساس انعكاس النور اوانكساره ، وكشفوا عن طريق الشعاع المنحني في الهواء ، وبرهنوا على انا نرى الشمس والقمر قبل الشروق وبعد الغروب . ويتابع درابر كلامه فيقول : والذي يدهش كثيراً ان نتصور اشياء نفاخر بانها من مواليد وقتنا ، ثم لا نلبث ان نراهم سبقونا اليها . فتعليمنا الحاضر في النشوء والارتقاء كان يدرس في مدارسهم ، وحقاً انهم وصلوا به الى الاشياء الآلية وغير الآلية ، فكان المبدأ الرئيسي في الكيمياء عندهم والمظهر الطبيعي للاجسام المعدنية » .

واذا لم تكن هذه الصورة تامة في بعض وجوهها ، فلنستعن بما يقوله العالم ريسون لاكمال هذه الصورة ، قال ريسون في كتابه « العرب والتجارة » :

لقد احرز العرب فضل السبق دون غيرهم في مضمار التجارة ، فرقوا الصناعة البحرية ، ووضعوا قوانين حقوق الملاحة ، واقتبسوا استعمال ابرة السفينة من الصينيين ، وضبطوا التجارة بفن مسك الدفاتر اي ضبط ، وشرحوا الكفالة وانشأوا المصارف للفقراء ، ووضعوا المفاتيح (الكمبيالات) المألوفة وردود التمسك « البروتستو » وبعثوا الحركة في مصارف الغرب الحديثة . وكنت تراهم حيث نزلوا يمهدون السبل ، ويعمرون المرافىء ، ويصلحون الفنادق والرباطات ، ويرتبون سير القوافل . وكانت المدن الاسلامية اوساطاً تجارية كبرى . وان تعجب فاعجب للعرب كيف نبغ بينهم لاسفارهم المترامية اساتذة جغرافيون هذبوا في وقت قصير كتاب بطليموس وكشفوا بلاداً اخرى بغير اقدامهم لم توطأ ، ووسعوا المصورات للغربيين وحببوا اليهم التنقل والترحال .

ثم يقول : وان استبحار العرب في العمران مع سرعة انتشار سلطتهم في المعمور ، هيأ لنا ادراك مكانة المدنية العربيه ، فكانت هذه الحضارة الباهرة في القرون الوسطى مزيجاً من المدنية البيزنطية والفارسية ، وقد تم هذا المزيج المدني بامرين : عشق العرب للتجارة

وغرامهم بالاستعمار ، واصبحوا لذكائهم الوقاد ، ولما غرس فيهم من حب الاطلاع على كل شيء ، يخوضون غمار العلوم الطبيعية والرياضية ، فابتدعوا الكيمياء وبرعوا بها ، وطبقوا تلك العلوم على الزراعة والصناعة ، ولهم المنة على جميع الامم بارقامهم العربية . »

وقال شارل ستيوبوس في كتابه « تاريخ الحضارة » : لقد جرى امراء العرب على قاعدة اسقاء الارضين بفتح الترع ، فحفروا الآبار ، وجازوا بالمال الكثير من عثروا على ينابيع جديدة ووضعوا المصطلحات لتوزيع المياه بين الجيران ، ونقلوا الى اسبانيا اسلوب النواعير لتمتح المياه ، والسواقي التي توزعها ، وان سهل بلنسية الذي جاء كأنه حديقة واحدة ، هو من بقايا عمل العرب وعنايتهم بالسقيا . وقد نظم العرب مصلحة للمياه كان يرجع اليها في مسائل الري .

ويقول ويليم ديلكوكس من اعاظم مهندسي الري في هذا العصر ، ان عمل الخلفاء في ري العراق في الايام الماضية ، يشبه اعمال الري في مصر والولايات المتحدة الاميركية واستراليا في هذا العصر . »

الى هنا يمكن ان تكون الصورة التي اردنا رسمها للعرب في دورهم العلمي تامة الى حد ما ، ومنها ننتقل الى القول بان ما افاده العرب من الفلسفة اليونانية هي الحصول على هذه الصورة التامة صورة حية بايقاظها العقل العربي وطبعه بالطابع العلمي وتوريثه تراث الحضارات القديمة واستخدامها في المصالح العامة .

نعم لقد طبعت الفلسفة اليونانية العقل العربي بالطابع العلمي وهذه حقيقة لايصعب الاستدلال عليها فقد قال سخاو Sachaw في محمد ابي الريحان البيروني « انه اكبر عقلية عرفها التاريخ » وقال الرياضي الايطالي كاردانو في الكندي يعقوب « انه احد من الاثني عشر عبقرياً الذين ظهروا في العالم » وقال الدكتور سارطون في الحسن بن الهيثم « انه اعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى ومن علماء البصريات القليلين المشهورين في العالم » ويقول الدكتور سارطون هذا في ابن سينا « انه من اشهر مشاهير العلماء العالميين » ويقول (لالاند) في ابي عبدالله البتاني « انه واحد من العشرين فلكياً المشهورين في العالم كله » ومثل هؤلاء الاعلام كثيرون تخرجوا على الفلسفة اليونانية واستفادوا منها اكثر مما استفاد اصحابها فكانوا فخر الامة العربية بل فخر الجنس البشري .

وللدلالة على ان العرب قد افادوا من مبادىء الفلسفة اليونانية اكثر مما افاد اليونان انفسهم ، ابتكارهم قانون التجربة والملاحظة Loi de l'expérience et de l'observation قال الدكتور لوبون في كتابه « حضارة العرب » : ان خزائن الكتب والمخابر والآلات هي مواد للتعليم والبحث اللازم ، ولكنها ليست الا ادوات ، وقيمتها مناط الطريقة التي تستعمل لها ، وقد يتلقف المرء علم غيره وهو عاجز عن ان يفكر بنفسه ويوجد شيئاً ، ويكون تلميذاً دون ان يوفق الى ان يصبح استاذاً . اما العرب فبعد ان كانوا تلاميذ عاديين ، اساتذتهم تآليف اليونان ، ادركوا للحال ان التجربة والملاحظة تساويان اكثر من احسن الكتب . هذه الحقيقة اليوم معروفة لا يعد العمل بها بدعاً ، ولم تكن كذلك في الدهر السالف . فقد ظل علماء القرون الوسطى يشتغلون الف سنة قبل ان يدركوها . وينسب الناس الى (باكون) هذه القاعدة ، وهي في الاصل اساس البحث العلمي الحديث ، بيد ان الواجب ان نعترف اليوم ان هذه الطريقة كلها من مبتدعات العرب . »

هذا بعض ما افاده العرب من الفلسفة اليونانية ، وعبرنا عنه بلفظ القلة ، لان ما عرضناه لا يصور فضل هذه الفلسفة تصويراً شاملاً ، لان مثل هذا المقال لا يمكن ان يتسع لهذا الغرض . بيد اننا لانعدم قولا يدل على مبلغ تقديرنا لهذا الفضل قلناه قبلا ، وهو انه اذا لم يكن للفلسفة اليونانية من فضل على العرب ، الا انها ايقظت العقل العربي وطبعته بالطابع العلمي واورثته تراث الحضارات القديم ، حتى جعلت العرب يتبوءون مقام الاستاذية لاوروبا ، لكفى بذلك فائدة ونفعاً .

ب — اذن ما هي الفوائد التي كان بامكان الادب العربي ان يجنيها لو ان العرب انكبوا على الادب اليوناني ؟ .

لا نغالي اذا قلنا انه لم يكن في استطاعة العرب ان ينكبوا على الادب اليوناني ويفيدوا منه الافادة المثلى ، التي ربما تصورها الاستاذ صاحب الحديث . اذ المعروف ان عوامل كثيرة صدت العرب عن دراسة الادب اليوناني واحتذائه .

واكبر هذه العوامل فيما اعلم ، عامل مزاج ، فقد ثبت ان العرب تأثروا بنوع خاص من الادب اليوناني « القصص والحكم » لم يتأثروا بغيره كأدب الملاحم وادب الحوار ، فاذا قلبت صفحات الفهرست لابن النديم وجدت اسماء كتب نقلت الى العربية في الاسمار والملح والنوادر ورأيت شيئاً من محتويات هذه الكتب مبسوطاً في مثل كتاب الحيوان للجاحظ والبيان والتبيين وعيون الاخبار من كتب الادب العربي ،

ولكننا لا نقع مطلقاً على نقل لشعر الملاحم ولا للشعر التمثيلي ولا للخطب الرائعة ولا لبحث من ابحاث ارسطو الوافية في الكتابة والخطابة وعلم البيان ، ذلك لان هذا النوع من الادب اليوناني ، شعر قومي وادب اقليمي يطفو عليه عاطفة وشعور خاص ، يصف ويصور اهل اليونان في حروبهم وحياتهم الاجتماعية ، لايمكن للعربي ان يتذوقه او يستسيغه ، للفروق العظيمة بين حياة الشعبين . فقد ألف العربي حالة من الغزو لا تشبه حروب طروادة بحال من الاحوال ، فلا آلات القتال ولا نظام الكر والفر ولا وسائل النقل ولا البسة الحرب بمتشابهة وقل مثل ذلك في ساحة الحياة الاجتماعية ، فانها تختلف الواحدة عن الاخرى كل الاختلاف ، فلا يتسنى للعربي ان يقبل على ادب اليونان مثل اقباله على فلسفتهم كما ذكرنا قبلاً .

والعامل الثاني ، عامل التعصب للادب القومي : فقد كان العربي يتعصب لادبه اي تعصب ، فلا يسمح لنفسه بالاعتقاد بوجود امة تدانيه بادبها وشعرها ، بل انه ليظن ان قومه قد انفردوا من بين الامم بالفصاحة والبلاغة ، حتى ليشك بوجود شعر متقن كشعرهم ، فان وجد لم يقنع انه يدانيه صفاء ومتانة . هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد كان لهذا التعصب وجه آخر ، فقد اصبحوا لا يسمحون بابتكار فيه لا في الشكل ولا في الموضوع حتى ولا في القياس ، ومن يفعل ، فقد انتهك حرماته .

يقول ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » : وليس لمتأخر الشعراء ان يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الاقسام ، فيقف على منزل عامر او يبكي على مشيد البنيان ، لان المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافي ، او يرحل على حمار او بغل ويصفهما ، لان المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير » ويقتفي الشاعر هذا ، ان اراد ان يصف مركوبه مهما كان نوعه في ايامنا ، قطاراً او سيارة او طيارة ، ان يقول ركبت ناقة او بعيراً وهو لم يركب الا سفينة تجارية او كهربائية ! ومثل هذه النزعة التعصبية للادب العربي وعليه لا تتسامح بالاقتباس من الوان الادب اليوناني شيئاً .

والعامل الثالث ، عامل الدين : فقد كان الادب اليوناني ، ادباً وثنياً تتكرر فيه الالهة المزودة بخصائص الانسان ، فهي تغضب وتتحاسد وتحب وتعشق وتتبارز وتهزم وتنتصر ، والعرب حين احتكوا بالآثار اليونانية امة مسلمة تعبد الهاً واحداً منزهاً عن الصفات الانسانية ، تؤدي له فروض الاحترام المثالي .

والعامل الرابع ، عامل الجهل باليونانية : فقد وضح انه لم يكن بين شعراء العرب او ادبائهم من يحسن فهم اليونانية ، فلم يقع بينهم من يصلح لمهمة نقل الشعر اليوناني او نقل قطعه الادبية الرائعة الى العربية ، على خلاف ما وقع للادب الفارسي .

لا سيما وان معربي الخلفاء كابن الخصي وابن حنين وآل بختيشوع وامثالهم كانوا في نظر العرب ، علماء اكثر منهم ادباء .

والعامل الخامس ، عامل الحاجة : فقد لاح للعرب يوم وقفوا على التراث اليوناني ، انهم في حاجة الى العلوم اليونانية ، فقراء الى الفلسفة ، ولكنهم اغنياء عن الادب ، او قل اقد هدتهم الواعية الداخلية الى هذا . وفي وسعنا ان نتبين ذلك من اهتمامهم اولا بالطب والكيمياء والمنطق ، فعربوا كتبها واهملوا كتب الادب اهمالا يكاد يكون مطلقاً فقد كانت حاجتهم الى الطب حاجة عامة ومعروفة ، وحاجتهم الى الكيمياء ، حاجة الفقير الى المال . واما المنطق فقد اعتنوا فيه للمناضلة عن الدين واحكام الدفاع عنه ، تجاه العناصر الجديدة التي دخلت الاسلام ، ثم استتبع ذلك عكوفهم على الفلسفة وسائر العلوم لتغذية عقولهم وارواء حاجتها . واما الادب فليس لهم به حاجة ، لانه كان لهم شعر زاخر وادب قومي رائق يسد حاجتهم .

هذه هي العوامل الرئيسية التي عملت على صد العرب عن الادب اليوناني . ولو فرضنا وصح لافراد من العرب ان ينالوا بعض روائع هذا الادب الى العربية لما كان نصيبهم — على ما نظن الا الفشل ، لان هذه العوامل كانت قوية وفعالة الى درجة كبيرة . وهذا هو الجواب الطبيعي لسؤال الاستاذ صاحب الحديث . اما اذا اردنا ان نجاريه ونخفف من تأثير بعض هذه العوامل فبوسعنا ان نزعم ان الفائدة الوحيدة التي كان من الممكن ان يجنيها الادب العربي من الادب اليوناني ولكن على التدريج ، هي الغاء ادب الاشارة واللمحة ، وتعويدهم على الادب

التفصيلي وادب الحوار Dialogue . فان العرب لذكائهم وصفاء قرائحهم وفراغ نفوسهم من كثير من لوثات الامم، جاء ادبهم معتمداً على كثير من الايجاز بعيداً عن التفصيل، حتى انهم عدوا الاطناب من العيوب المخلة بالبلاغة .

اما سائر مميزات الادب اليوناني فمن العسير ان نزعم ان العرب كان باستطاعتهم ان يهضموها، وما زلنا حتى اليوم — وقد زالت قوة كثير من تلك العوامل — في ريب من هذا اذا اردنا ان نطبقها اليوم ولكن هذا لا يمنعنا من ان نجرب .

واذا كان الامر كذلك، فهل يمكن ان ترجح هذه الفوائد الادبية للعرب على بعض الفوائد التي ذكرناها للفلسفة ؟ كلا ! وحتى ان العرب لو استطاعوا ان يهضموا اغلب مميزات الادب اليوناني لما رجحناها لهم . اقرر ذلك وانا شديد الاعتقاد بان ما كسبه العرب لانفسهم وللعالم من طريق الفلسفة اليونانية لا يمكن ان يقاس بحال من الاحوال على ما كان بوسعهم ان يرجوه من الادب اليوناني على ما فيه من خير كثير . فرجال كالحسن بن الهيثم والكندي والبيروني والبتاني والرازي وجابر الكوفي وابن نفيس وابن سينا وابناء موسى بن شاكر وغيرهم وغيرهم علماء عالميون في نظر علماء اوروبا المنصفين اليوم ولولاهم لتأخر عصر النهضة في اوروبا قروناً كما يقول (ليتري) . انستطيع ان نزعم بانه كان بامكان الادب اليوناني ان يخرج رجالا من العرب لهم هذه المكانة في العالم، ولهم ذلك التأثير الواضح في سير العلم في اوروبا ؟ !

ثم بعد هذا نتساءل، أكان من طوق الادب اليوناني — لو حل محل الفلسفة اليونانية في توجيه العرب — ان يهب هؤلاء على الاقل قاعدة كالقاعدة التي وضعوا بها للعلم الحديث اساسه المكين، قاعدة: «جرب واحكم» فضلا عما وهبتهم الفلسفة من اسلحة أخر ؟ لا اظن ذلك، ولا احسب ان احداً يستطيع أن يجيب بالايجاب، الا ان يكون الاستاذ الهنداوي، بعد ان سبق وقرر ان الادب اليوناني كان اشد ضرورة للعرب من الفلسفة اليونانية !

ولكن هل يحسب الاستاذ ان الادب اليوناني بما اشتمل عليه من قوة ونور، كان في حوله مثلا ان يهدي العرب الى تصحيح خطأ واحد من اخطاء اليونان في ساحات العلوم الرحيبة ؟ ولكن الفلسفة قد لا شك ادتهم الى بعض تلك الاخطاء . وصححوها .

ام حسب ان بيتاً من الشعر او قصيدة مهما كانت من الطراز الخالد، تستطيع ان تقيم بناء ماثلا، او تبني حوضاً للسفن او تجر اثقالا، أو تهيأ دواء شافياً أو تقدم مصباحاً موقداً ؟ ولكن بالفلسفة قام العرب بأوسع الاعمال العمرانية واعظمها .

ام حسب ان العرب او اليونان، يكون لهم ذكر في تاريخ الشعوب، لو انهم اقتصروا على شعرهم وادبهم ولم يجاوزوهما الى الفلسفة ؟ نحن لا نريد ان نهضم الادب حقه، فالادب روح عالية، ونور يبهج القلوب، ولكنه لا يدوم الا ما دام القدح مترعاً . بيد ان الفلسفة روح اعلى ونور اقوى، يشحذ العقول ويهيمن على الدنيا المادية فيكمل عمل الطبيعة ويزيدها خيراً، ويدوم بدوام الانسان . وقد كسب اليونان والعرب اسماً خالداً بين الخالدين عن طريق الفلسفة لا عن طريق الادب .

واخيراً اشهد بأن الفلسفة اليونانيه قد طبعت العرب بطابع العلم، وكان هذا هو الخير الاكبر الذي اهتدوا اليه عن طريق الفطرة والحاجة، ولو انهم لم يوفقوا الى هذا وانساقوا في طريق آخر، لو انه طريق الادب اليوناني، لما كانت النتيجة الا أدنى كثيراً مما وصلوا اليه ولما كان ذلك خيراً لهم .

وازاء هذه النتيجة التي وصلت اليها، اقول لك يا صديقي خليل هنداوي، انك جاوزت وجه الصواب حين قررت عجلا، ان الادب اليوناني كان اشد ضرورة لقومك العرب من الفلسفة اليونانية، راجياً منك ان تبرهن على رأيك هذا، ان كنت بقيت مصراً عليه، كما احب منك ان لا تقرر ذلك الى طلابك قبل ان تذيع علينا هذا البرهان .

محمود اللبابيدي — حلب

زورق الحياة

◆

انا لي في اليمّ زورق ابيض الاحلام ازرق
يتهادى في ربى الامواج ، كالصب المؤرق
اتخطى فيه آفاق الغد الحلو المؤلق
تارةً يعلو مع الموج ، وطوراً يتزحلق
وانا امضي الى « المجهول » في الافق المنمق
لا ابالي ، لي مجذاف ، له المرصود يشق
من ابي السودي رب البحر « قدموس » واعتق
وهنا ، سار المسيح ابن بلادي ، وترفّق
وعلى عينيّ نور المصطفى الهادي ، تدفّق
ويميني بيد الله ، فلا اهوي بمزلق
لست اخشى هوّة اللجّات ، فالمجهول أعمق

◆

يا شراعي ، سر مع الريح فسرانا موفق
وهناك الأمل الممراح ، كالفردوس أشرق
طائراً ، في غمرة الابعاد ، غنّانا وصفّق
وتخطّى السحب في الأجواء تيّاهاً ، وحلّق
لك في الشمس محل ، من رمال الشط أرفق
فامتط الشمس ، فمنها لطريق الخلد مفرق
قبل ان تربدّ احلامي ، وباب النور يغلق
قبل ان ترحل شمسي ، وسواد الليل يهرق
فالشراع المطلق الاطراف ، في الليل ، يمزق
والذي يسري ، مع العتمة ، في الايام ، يغرق
يزدري الموت ويمضي من له في اليمّ زورق

محمد يوسف حمود

نهاية فيلسوف ...

(بكرة ندية من بكر الربيع ... تباشير الصباح المشرق شرعت تلون الافق بألوان متاوجة عبقرية . للأرض نفح زكي وللهواء خمرة ترشفها الروح .)

العصفور : يا لك من غصن رطيب تهتز تحتي كأرجوحة مرحة!

الغصن : اهتز ؟ العصفور : نعم تهتز تحتي وترقص ، وتصفق باوراقك كأنك تنتشي من وقع ألحاني :

الغصن : يا لك من مغرور . اتظنني آبه لك ؟

العصفور : اذن لماذا ترتعش هكذا وتتأود كعاشقة سمعت الحان الهوى ؟ الغصن : انا اغني ..

العصفور : ان اذنيَّ الرهيفتين لا تلتقطان اي جرس من غنائك

الغصن : ان غنائي لا يتخذ السمع سبيلاً الى القلب بل ...

العصفور (مقاطعاً) : يسلك طريق العين ؟

الغصن : هو ذاك . انا اغني باخضراري ورونقي ..

العصفور : ولكني لا اسمع شيئاً من هذا الغناء .

الغصن : ما كنت في هذه الغمرة من النشوة لو لم تفيء الى خضرتي وبهجتي . العصفور : يالك من مغرور . اتظنني آبه لك؟

يدنو الفيلسوف متوكئاً على عكازه وعلى ملامح وجهه علائم التفكير العميق .

الفيلسوف : كفاكما غروراً . ما انتما الا ألعوبتان في كف الطبيعة تقذف عليكما حين تشاء وتسلبكما لما تشاء . لئن خضلك الربيع بدفء انفاسه ايها الغر فسيعريك الخريف برياحه الهوجاء ، وستيبس من برد الشتاء القارص . وان اطلق الربيع حنجرتك بالاغاريد ايها العصفور الطائش فسيجمد الثلج جناحك ، وستخرس الى الابد . ما انتما الا العوبتان في كف الطبيعة المحتالة .

الطبيعة : دع مخلوقاتي ولا تحاول ان تعكر سماءهن الصافية واحلامهن الساجية ونشوتهن العميقة ..

الفيلسوف : انا افتح لهن ابواباً .

الطبيعة : على الشك ؟ على التمرد ؟ على القلق ؟ على الجحيم؟

الفيلسوف : على اليقظة لانهن غاطات في سبات عميق . على النور لانهن غارقات في ظلمة حالكة . على الحرية لانهن عائشات في شرانق وقواقع واقفاص ..

الطبيعة : دع مخلوقاتي يزقزقن لألأ الحياة وينعمن بدفئها وخيراتها ولا تقطع بصوتك الاجش شدوهن الرخيم .

الفيلسوف : انظري الى الشجرة الناشبة جذورها في اعماق التراب . انها تستصرخ السماء لتفك عقالها الارضي .. والأفلاك ملت الدوران في طريقها السرمدي الرتيب . وثورة البحر الهائج على الشطآن ما هي الا ثورة الاسد الحبيس يعض قضبان الحديد . كل ما في الكون مصفد بقيود غلاظ ، فهو يرسل الاسى والانين ولا يبعث الغناء والحنين ..

الطبيعة : ان قيدي حرية لمن يطيعني . سلاسلي اجنحة خفاقة لمن يرتع في حقلي .. فالشمس مقيدة ولكن اشعتها تطوي السهل والوعر ، وتنير الخفي والظاهر ، والشجرة مربوطة الى ظلام الارض ولكنها مشرئبة زهواً الى جبين السماء ، وعرفها يجوب الفضاء ، وغذاؤها الهواء والضياء ..

الفيلسوف : يا لك من خداعة حتى في تعاليمك ..

الطبيعة : يا لك من ولد عاق ! كأني حين نفخت في ضلوعك الحياة ، خلقت آلة تهدم ، لا يداً تزين العالم ، وشعلة تحرق ذاتها ، لا فكراً يضيء للكائنات ...

الفيلسوف : ايتها الام ! يحق لك ان ترفعي طرفك عالياً لانك ابدعتني . ابدعت من يتمرد عليك لانه يفهمك ، ومن تنقمين عليه لان في احداقه نوراً ساطعاً لا ككل عميانك ..

الطبيعة : احسن منه حشرة مذهبة ترفرف على العشب . ونملة تدأب في التقاط قوتها . وغصن أعريه فلا يغتاظ مني والبسه فلا يشمخ علي . أشرف منه عنكبوت ينسج في الظلام ... وجبل هاجع في سلام . (في حنان) : اما آن لك ان تدخل جنتي وتسبح في غبطتي ونعمتي ؟..

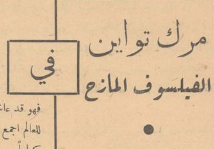
الفيلسوف : زيني وجهك باروع ما ابدعته قريحتك الخصبة من المساحيق ، واكتسي اجمل وشاح ، واجعلي شراكك لطافاً رقاقاً كخيوط الشفق .. فلن تصطادي دماغاً يقهقه ساخراً في جمجمته . الطبيعة : اخشى عليك ان تحترق ..

الفيلسوف : ولكن الاحتراق لذيذ . الطبيعة : تلك لذة الوهم والضلال .. الفيلسوف : لذة الفراشة حين تقترب من لهيب النار . الطبيعة : لانها تجري في ناموسي .

يشعر الفيلسوف بجفاف في عروقه ، وغليان في دماغه . فيسحق فؤاده ندم أليم وتنطلق على الرغم منه هذه الحسرات :

والهفتاه ليتني ذلك العصفور الطائش ، او ذلك الغصن الغرير . لقد عاشا في وهم ولكن عاشا في لذة ..

عارف قباس — دمشق



بقلم امين الغريب

الحادي والعشرين من شهر نيسان الماضي انقضت ٣٣ سنة على وفاة مرك توابن و٥٨ سنة على طبع اول كتاب من تآليفه الممتازة ٠ ومئة وثماني سنوات على مولده ٠ فهو قد عاش خمسة وسبعين عاماً ٠ ولم نقل انه اميركي لان الولايات المتحدة التي انجبته وهبته للعالم اجمع يتفكه جميع الناس بطرفه النادرة وحكمه الباهرة كما وهبت قبله وبعده افراداً كباراً من المخترعين النافعين ٠

ولا غرو ان يكون العصر الذي عاش مرك توابن فيه موسوماً بطابعه ٠ لان شهرته الذائعة لم تقف بموته بل تزايدت انتشاراً ٠ مع ان الملوك والرؤساء الذين ماتوا مثله منذ ثلث قرن اصبحوا الآن نسياً منسياً ٠

يستدل على امتياز الكاتب في نظر الجمهور بتكاثر الطلب على كتبه في المكاتب العامة ٠ وتؤكد جرائد الولايات المتحدة ان اكثر الطلب في جميع المكاتب الكبرى والصغرى على كتب مرك توابن ، سواء في ذلك نيويورك وبوسطن وشيكاغو وسنت لويس ٠ وقد جاء في تقرير مكتبة نيوارك من ولاية نيوجرزي ان فيها لمرك توابن الفاً وثلثمئة مجلد تكون غالباً كلها دفعة واحدة بين ايدي المطالعين ٠ وهكذا الحال في سائر المكاتب ، فالجميع يحبون مرك توابن ويقبلون على كتاباته الحاوية لاقسى الجد في ارق المزاح ٠

اما الكتب التي وضعت نقداً لمرك توابن وكتاباته فتزيد على ما كتب عن شكسبير ٠ ولذلك يصعب الالمام بخلاصة من هذه الاراء المتراكمة ٠ لكن تهافت الناس المستمر على مطالعته افضل دليل عليه ٠ فهو محبوب من قرائه جداً وكفاه ذلك مجداً ٠

في سنة ١٨٨٠ كان مرك توابن في قمة شهرته اذ قال صديقه وليم دين هاولز ، احد اعلام الادب الاميركي : « ان عبارة (كما قال مرك توابن) تتردد على رؤوس جميع الاقلام والالسنة » ٠ ولا تزال الحالة اليوم كما في سنة ١٨٨٠ ٠

اول مزية لمرك توابن انه يصور في كتاباته الحياة كما هي ، لا كما يجب ان تكون ؛ ولما صاح كيبلنج الكاتب الانكليزي عن احد الابطال في روايات مرك توابن : « ان طام صوير شخص حقيقي في نظري انا على الاقل » تكلم بلسان كل الناس في كل العصور ٠

كان مرك توابن رجلا ضحوكاً ٠ طرق الموضوعات المتناهية في الجلال والعظمة والاهمية — بوجه طافح بشراً وقلب مغتبط حبوراً ٠ وفي اصعب المشاهد التي وضعها بمنتهى الرزانة يجد القارىء منفذاً الى الضحك والانبساط ٠ ولعمري ان هذا منتهى البسالة في رجل نشأ فقيراً وظل يعلو الى ان تبوأ مركزاً في امارة الادب يجالسه اليوم فيه موليير الفرنسي وسرفنتس الاسباني وسويفت وفيلدنج الانكليزيان ٠

ولا ننسى ان اذواق الناس تختلف ٠ فكما حرمت اليابان مرة كتب موليير الفرنسي من دخول بلادها بحجة انها غير لائقة واضحكت العالم الادبي باجمعه من هذا الرأي ، هكذا بقيت بعض المكاتب الاميركية الى عام ١٩٠٦ ترفض كتب مرك توابن !

وزبدة ما يقال فيه انه فاق جميع معاصريه من الكتاب في نزاهة الفكر والقول والعمل ٠ وقدس النزاهة في كتاباته حتى قال « انها وحدها ترد عن الجنس البشري اللعنة التي يستحقها » وقاتل الرياء والنفاق بكل قواه ٠ واضحك الناس على المتعصبين وبدون ان يعرف اللغة العربية ايد بكل اعماله قول الامام علي بن ابي طالب : « التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه » ٠

وكان ساحراً يجذب اليه القلوب ويجردها من همومها دون ان ينسى مركزه العالي في نظرها فلا يتنزل الى السخافة ٠ ومما قاله مرة : « ليس قليلا ان نستطيع تعزية هذا العالم الحزين : فتعزيته افضل من معاونته على الامور الاخرى »

لكنه عند الطعن كان لطيفاً حتى ليضحك المطعونين انفسهم ٠ وكان قوي الحجة سلس التعبير حتى ليجرح ويسيل الدم بدون ان يؤلم ٠ ومع انه ابغض في الاشراف والنبلاء غطرستهم الفارغة ومظاهرهم السخيفة رفعه قومه الى درجة امير في الادب ٠ وخاطبه وليم دين هاولز الشهير مرة بقوله : « لا اقول لك يا ملك عش الى الابد بل اقول لك عش الى ما تشاء » ٠ وكتب عنه صديقه هذا سلسلة تذكارات شخصية في مجلة هاربرز بعد موته سنة ١٩١٠ ٠

كان رحب الصدر متساهلاً يحب الناس والخلائق جميعاً . ويحث احماضه تنجلي حلاوة الشمائل والخلق الرزين والمبدأ السامي والرغبة في الافادة .
وكانت مضحكاته على طراز طرف سرفنتس لا تخلو من بطانة حزينة . ونظير موليير كان في هزله يمقت التصنع والتظاهر بغير الواقع ويبغض المكر والتلون الى درجة الغضب . ونظير سرفنتس وموليير معاً كان دائم الصدق والاخلاص على ما تشهد له بكل صراحة دائرة المعارف البريطانية .
وكان مثل كلفان احد مؤسسي الشيعة البروتستانية يكتب كل كتاباته وهو في سريره . وكان ينكر على القطط في منزله حقها في افتراس العصافير المفردة . وقد اعياه اقناعها بالتخلي عن هذا الجور فعلق باعناقها اجراساً صغيرة تنفيراً للعصافير من رنينها عند تحفز القطط للوثوب . ونقل اليه احد اصحابه مرة ان بعض الجرائد اشاعت خبر موته فضحك وقال : « هذا من مبالغات الجرائد وقال مرة عن البراز عند الاوربيين « ان اشد ما فيه من خطر ان يأخذ المتبارزان برداً » . وقال يرثي آدم ابا البشر : « رحمة الله عليه انه لم يعش ليرى بعض ابنائه بعينيه ولعل ذلك خير له »

ترجمة حياته

ولد مرك تواين في فلوريدا مزوري يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٨٣٥ فاتفق مجيئه الى هذا العالم مع نجم هالي ابي الذنب . ومات عند رجوع هذا الشهاب الثاقب بعد ٧٥ عاماً في ٢١ نيسان ١٩١٠ وقد استوقف الانظار وخلب العقول نظير ذلك المذنب .

وكان اسمه الاصلي صموئيل كليمنس . اما لقب « مرك تواين » فاتخذه لنفسه اسماً قلمياً من عبارة كانت تقال له اثناء عمله بحاراً في نهر مسيسبي اذ كان يسبر غور الماء في النهر فيقال له « مرك تواين » اي (سجل مرتين) . كان ابوه تاجراً عادياً وغادره يتيماً في الثانية عشر من عمره فانقطع فوراً عن الدراسة ليشتغل كي يعيش . وعاشر في طفولته ابناء العبيد في جنوب الولايات المتحدة واطلع في بيوتهم على مفعول شراسة المتمدنين في التعساء المتوحشين . تعلم رصف الحروف وطاف في القرى طباعاً صغيراً حتى وصل الى نيويورك . وفي سن ١٧ اعتمد الذهاب الى وادي الامازون في البرازيل المغامرة في سبيل الاثراء من تجارة النارجيل . لكن نهر المسيسبي استوقفه ثانية فصار ربانا لسفينة صغيرة . وبعد قليل ذهب الى نيفادا حيث كان اخوه نائب الحاكم وبحث في مجاهلها عن الذهب بالرفش والمعول . ومن هناك اخذ يكاتب الجرائد فيطرب قراءها بمستطرفاته . لكن المضحكات تنطوي احياناً على خطر . فدعاه احد الملموسين بها يوماً الى المبارزة . لكنه فضل على ذلك ان يذهب الى كاليفورنيا حيث وجد ابواب كل الصحف مفتوحة امامه . فأرسلته جريدة من سان فرنسيسكو مع وفد صحافي الى بحرنا هذا المتوسط . وكتب رسائل من هنا شهرت اسمه في اميركا وانكلترا وجمعها سنة ١٨٦٩ في كتاب عنوانه « الاطهار في الخارج » فلقي رواجاً سريعاً . وجعل الولايات المتحدة من اولها الى آخرها تضحك للطائفه وتتناقلها في المجالس . ولما كان في البحر المتوسط تعرف الى اسرة لنغدون الاميركية وفيها صبية حسناء تدعى اوليفيا فخطبها ثلاث مرات قبل ان رضيت به زوجاً . وعاشت معه ٣٤ عاماً . فلما توفاها الله سنة ١٩٠٤ رثاها قائلاً بلسان آدم على قبر حواء : « حيث كانت كان الفردوس الارضي » . كان مغامراً تسنح له الفرص فيلتقطها او يهملها بدون انتباه . جاءه « اسكندر غراهام بل » مخترع التليفون مرة برزمة اسهم كبيرة ثمنها خمسمئه دولار فرفضها مع انها في ايامه صارت تساوي خمسة ملايين . وكان خطيباً ساحراً بحركاته ونبراته وعذوبة صوته وخصوصاً بنكاته . دعي مرة للخطابة في حضرة امراء الادب الاميركيين الثلاثة امرسون وهولمز ولونغلو في بوسطن مدينة العلم . فأراد مداعبتهم بطرفة مضحكة . لكنهم لم يضحكوا لها بل سكتوا سكوتاً قاسياً فقال مرك تواين « ان هذا السكوت ثقل عليه جداً حتى كان يعادل عدة اطنان على كل انش مربع من جسمه »
وكانت تآليفه تتوالى واسمه يزداد انتشاراً واشتهاراً وزار اوربا وكتب عن زيارته كتاباً كله احماض سنة ١٨٨٠ دعاه « متشرد في الخارج » . وحول كتابه السابق بعنوان « العصر المذهب » الى رواية مثلث مئات من الامرار . واتبع ذلك سنة ١٨٨٢ بكتاب « الامير والصعلوك » وبعد سنة نشر كتاب « الحياة في المسيسبي » . وبعد ٧ سنوات كتاب « ينكي من كوناتيكت في بلاط الملك ارثر » ثم « المدعي الاميركي » . لكن المطبعة افلست وتركت نفقات هذا الكتاب ديوناً ثقيلة عليه فدفعها ضاحكاً . ونشر كتباً كثيرة غيرها منها واحد عن « جان درك » ذكر فيه عذراء اورليان بمنتهي العطف والاحترام . ثم طاف حول الارض لاجل الربح من خطب ومحاضرات كان يلقيها بفوز باهر . وجلبت له كتاباته ثروة كبيرة . ويبلغ عدد الكتب المستقلة التي ألفها نيفاً وعشرين كتاباً .
وتوفاه الله في ردنج من ولاية كوناتيكت في ٢١ نيسان ١٩١٠ ومن بناته الاربع لم تعش الى ما بعد موته الا واحدة هي كلارا قرينة جبريلوفتش الروسي الماهر في ضرب البيان (البيانو)
رحم الله من خفف هموم الناس واضحكم في هذا الوادى وادي الدموع .

امين الغريب

المعارف الطبيعية عند العرب واهميتها في العصر الحاضر

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي

استاذ العلوم في تجهيز حلب

●

اذا اردنا ان نحلل وضعية شبابنا في زماننا الحاضر، وجدنا شتى التيارات تتجاذبهم، فمن متغال في حب القديم لا يعبأ للتطورات الحديثة ولتطلبات الزمن الذي نعيش فيه، ومن ضارب بمعول التهديم لكل شيء يمت الى السلف كأن هناك لا يوجد قيم جوهرية لا يقضى عليها كر الايام والعصور. هذه هي روحية كثيرين منا، وقلما نجد شخصاً معتدلا في نزعته يود مجاراة الزمن وفي الوقت نفسه يبذل جهده لاكتساب ما خلفه الاجداد من التراث القيم. فالغلو يسود اكثرنا، والشاب الذي لم ينضج بعد، تتقاذفه شتى الاهواء الى ان يجري في تيار من التيارات القوية التي لا قبل له في الكفاح ضدها واطئاً شخصيته وجميع مواهبه الذاتية.

نحن نجري وراء العواطف، وقلما نسعى باتزان نفسي ان نحلل القضايا على ضوء الحقيقة منقبين عن آثار الاقدمين، لنعلم ما يصلح وما لا يصلح. وبذلك نحول وجهتنا من الجدل الفارغ الى الدراسة الجدية المثمرة. لان الدراسة الجدية وحدها هي التي تعلمنا الى اي حد نقدر ان نقتفي أثر الاجداد واي شيء من التراث يلزم اهماله لانه لا قيمة له ولا شأن له اليوم. وفي زعمي ان اهم موضوع طريف يجب التنقيب عنه، هو علوم الاوائل الايجابية او المعارف الطبيعية التي قل من اهتم بها من افراد امتنا العربية. والسبب في قلة الاهتمام، هو ان من يعتني بالآداب العربية القديمة لا تعنيه المعارف الطبيعية، ومن وقف اوقاته لكشف سر الابداع الادبي القديم لا يعبأ للعلوم الواقعية. ولعل الجميع متفقون على ان هذه المعارف القديمة لا شأن لها اليوم ولا تنفعنا في وقتنا الحاضر شيئاً. لان تلك العلوم البائدة قضى عليها كر الغداة ومر العشي. واذا قارنا بين علوم الاوائل وعلوم العصريين الحديثة لوجدنا المسافة شاسعة يكاد لا يصدقها العقل. نعم ان الشقة بعيدة وبعيدة جداً بين تدقيقات السلف واختراعات واكتشافات رجال الغرب الهائلة التي نقف ازاءها نحن الشرقيين محتارين متعجبين من ذلك الابداع والابتكار

ولكني رغم ذلك فانني ارى ضرورة الاهتمام في معارف السلف الايجابية للامور الآتية :

١ — لتقدير قيمة الحضارة العربية حق قدرها لاننا لا يمكننا معرفة ما ابدعه سلفنا الا بادراك الانتاج العربي في الطبيعيات، ولدى التدقيق يتبين لنا ان العلوم هي سلسلة متواصلة يبدأ اولها بتاريخ البشر ولا تنتهي هذه السلسلة الا بانتهاء العالم. فلمعرفة ما لعبته الامة العربية على المسرح العالمي في الطبيعيات للتعمق في مجرى التاريخ لا بد لنا من ان ندقق في هذا الانتاج.

٢ — ان كثيراً من الاكتشافات عرفت في الحضارة العربية قبل ان تعرف في اوربا كيفية دوران الدم وتأثيرات الحمض في المعادن (١) وكيفية تأثير المواد العفصية في الاملاح المعدنية (٢) وكالتداوي في العقاقير النباتية التي بعثت اليوم الى عالم الطب من جديد (٣) وكفلسفة المادة وخاصة نظرية وحدة العناصر (٤) وبعض نظريات الجزء الفرد التي سادت عقلية علماء الكلام (٥)

وليس من الانصاف ان نبخس المكتشفين حقوقهم وان تقادم بهم العهد ومهما كان هذا الاكتشاف تافهاً صغيراً. فاذا قدرنا السلف حق قدرهم استطعنا ان نقدر الخلف حق قدرهم والا كان هذا المطمع لا مبرر له.

٣— وكما انه لا طفرة في الطبيعة كذلك لا طفرة في تاريخ الفكر البشرى. فليس هناك من اكتشاف او اختراع ينشأ فجأة بصورة كاملة بل الترقي لا بد ان يحصل حسب قانون التطور بالتدرج. فهذا التطور التدريجي يسود تاريخ الفكر البشري، فلادراك قيمة هذا الرقي من الضروري متابعة ذلك التطور في جميع مراحله. حتى اننا لو رأينا الاخفاق رائد عالم ما يجب ان لا نبخسه حقه لان ميدان العلوم كما يقول ناشر كتاب قصص العلماء والمخترعين « كميدان الحروب » يخر فيه بعض العلماء صرعى الاخفاق، كما يتقدم فيه علماء الى الاختراع الذي ينشدونه، وهم في ذلك يصارعون الصعوبات فيصرعونها بدلا من ان تصرعهم ويغالبون

العقبات فيتغلبون عليها بدلا من ان تغلبهم (٦) وفي الاخفاق نفسه فائدة. ففي اخفاق المتقدم عبرة للمتأخر وتقصير الطريق لاكتشاف اسرار الطبيعة.

٤ – ان العصر الحاضر مهما كان براقاً في الطبيعيات، فلا يزال البحث في بعض المواضع بكراً فقد اصدر في الوقت الحاضر السيد حسن عبد السلام مفتش الكيمياء بوزارة المعارف في مصر كتاباً عنوانه ذخيرة العطار او تذكرة داود في ضوء العلم الحديث (٧) ذكر هذا الكيميائي المصري انه عندما كان صبياً كان يعرف الشيء الكثير عن العطارة والعطارين لاتصاله بهم. ولما دارت الايام دورتها وذهب لدراسة الكيمياء في احدى الجامعات بانكلترا كان استاذ الكيمياء الحيوية عالماً روسياً يقوم بابحاث خاصة في الكيمياء من الاعشاب التي استخرجها من جزر الهند الشرقية، فطلب من الكيميائي المصري ان يأتي ببعض الكتب عن العطارات المصرية لانه في اعتقاده ان هذه الكتب لا تزال لها اهمية حتى يومنا هذا، وفيها كما يقول العالم المصري نفسه تراث عظيم وكنوز ثمينة من مؤلفات اجدادنا العرب تموج بذخيرة من المعلومات وهذه وان كان منها ما هو خطأ او مشكوك فيه، فان فيها ما يستحق الطبع والنشر. وفيها مجال للزيادة والتجديد.

ثم لا ننسى ان هناك مناجم عديدة لبعض المعادن اصبحت نسياً منسياً بعثت الى الوجود ثانية اعتماداً على هذه الوثائق (٨) فلا يبعد ان يكون هناك مناجم لم يصل اليها المنقبون بعد.

٥ – هناك ايضاً صناعات قديمة ربما احتيج اليها في ظروف خاصة وسأضرب على سبيل المثال حادثة جرت معي. سألني بعض الطلاب في وقتنا الحاضر عن المواد الاولية الضرورية لصناعة الخزف فقصلت لهم ذلك – ولما تعذر عليهم استحضار فلوئور الكلس اللازم لتعكير الطلاء اتوني ثانية يطلبون العون. فكرت في الامر ملياً بيني وبين نفسي واخيراً خطرت على بالي قضية فتحت لهؤلاء الطلاب المجدين طريقاً جديداً. تبين لي ان هذه الصنعة هي من ايجاد الصينيين وان العرب تعلموها منهم ودونوها في كتبهم وقد كانوا استعاضوا عن الفلوئور بمادة ثانية. وهكذا من مطالعة كتب الاوائل توقفت الى معرفة ما يمكن الاستعاضة عنها وهديتهم لما كانوا يرجونه. نعم لم يتوفقوا في الصنعة الى الذروة بل خطوا بها الخطوة الاولى. واول الغيث قطر ثم ينسكب. فلو لم يكن عندي المام بتاريخ الصنعة نفسها لما تمكنت من اسعافهم ابداً.

٦ – نشاهد تياراً خاصاً في العهد القديم وفي القرون الوسطى في البحث في الطبيعة، ذلك التيار هو البحث بالفكر والعاطفة، اما في العصر الحاضر فلا يود الباحثون الولوج في سر الطبيعة الا عن طريق ظاهر الحواس والمحاكمة. ان هذه الطريقة افادت من ناحية واضرت من ناحية اخرى. افادت في تجريد البحث، وجعله على قدر الامكان خالصاً للعلم ولكنها اضرت في تعويد الانسان على القساوة. نعم لقد حصلنا على علم غزير ولكن بهذا المنهج القاسي اضاع الانسان نفسه في تجريد العاطفة عن الفكر في اكتشاف اسرار الطبيعة. نعم قد اضاع نفسه، فرغماً عن كل ما عمل العلم ليدرك الانسان ظاهره وباطنه فهو لا يريد ان يرى فيه الا كما يرى في الآلة الميكانيكية التي تنطبق عليها قوانين المادة الظاهرية ولعل كثيراً من القساوات البشرية ووطأ الانسان لاخيه الانسان بدون رحمة ولا شفقة آت من تجريد النفس البشرية من العاطفة.

اذن نقدر ان نستفيد من التتبعات العلمية ما يهذب العاطفة، عن الضروري مناقشة الحساب واعادة شيء من الشعور حتى في تدقيق الطبيعة.

٧ – يظهر لكثيرين منا ان العلوم الطبيعية هي من احتكارات الغرب. وان الابتكار من خصائصه فقط. فاذا علمنا ان سلفنا لعب فيها دوره، فلربما تعود لنا الثقة. وهذه الثقة تحثنا على العمل في سبيل البحث.

٨ – واخيراً فاننا لا ننسى الاهمية اللغوية فكثير من الاصطلاحات موجودة في كتب السلف. حتى اذا لم يكن هناك كلمات قديمة فاننا نستطيع على قاعدة الاشتقاق احداث كلمات جديدة. ولا يخفى ما للقضية اللغوية من الاهمية العظيمة ونحن بعد لم نحل هذه المشكلة ولا نزال نرتبك في ايجاد لغة علمية تناسب حضارتنا وتمتزج مع انفسنا وتسهل تعميم الثقافة باجتياز العقبة الكأداء بين القديم والحديث ولا يكون ذلك الا بالوقوف على العلوم العصرية حق الوقوف ودراسة ما كان يعرفه السلف (٩)

اننـــا اذا تمكنا من حل هذه العقدة نكون قد هيأنــا الخطوة الاولى للسير في مضمار الرقي الحديث والا فسنعيش على هامش الحياة الى الابد .

ان حكومة مصر تسعى جهدها للاخذ بيد العلماء وتبذل ما في وسعها في ترقية السوية الثقافية . ولقد قام مليكها فاروق الاول في تأسيس جامعة الاسكندرية معيداً مجد تلك المدينة العلمي الذي نفخه قديماً الاسكندر الكبير . ولقد برهن السوري واللبناني في جميع عصور التاريخ على قابليته في مجـاراة الامم الناهضة ولكن الاهمال وعدم التشجيع يثبط الهمم ويقتل النشاط ، فحبذا لو اقتدت حكوماتنا بمصر معيدة بذلك الآمــال الى النفوس .

محمد يحيى الهاشمي — حلب

---

(١) من المعلوم ان العرب عرفوا اكثر الحموض المعدنية وتأثيرها في المعادن وزيادة للايضاح راجع مخطوطات جابر بن حيان المحفوظة في المكتبـة التيمورية في القاهرة ومخطوطة سر الاسرار للرازي الموجودة في اكثر العواصم الغربية .

(٢) ينسب اكتشاف استخراج الحديد من قشر البلوط والاملاح الحديدية للطبيب الاندلسي ابي المنصور الذي عاش في القرن العاشر للميلاد كما ذكر ذلك الدكتور تريير Trier في كتاب له «الكيمياء والصباغة» الذي يقول في مقدمته المحررة عام ١٩٢٤ ان الصباغة تعلمها اهل اوربا من الشرقيين

(٣) يوجد اليوم في الغرب تيار قوي للعودة الى العقاقير الطبية النباتية للفائدة التي ترجى منها .

(٤) انظر رسالتي الصغيرة الخاصة للمدارس الثانوية عن مقدمة الكيمياء حلب ١٩٤٣ ص ٥

(٥) كان لنظرية الجزء الفرد تأثير عظيم في تطور الفيزياء والكيمياء الحديثة وقد ساهم فيها مفكرو العرب ، وزيادة للايضاح راجع تاريخ الفلسفة في الاسلام للاستاذ دي بور الهولندي ترجمة ابو ريدة ، القاهرة ١٩٣٨ ص٦٧ ملاحظة (٢)

(٦) قصص العلماء والمخترعين ، محمد عاطف البرقوقي ج ١ ، القاهرة ١٩٤٠ ، ص ١٠٤

(٧) القاهرة ١٩٤٢ ص ٧ وما بعدها .

(٨) في القرن الثامن عشر جهز نابوليون الاول بعثة علمية لاكتشاف مناجم الزمرد في مصر العليا ، وقد وجدوا ايضاً مناجم في جوار الاسكندرية كما ذكر التيفاشي المتوفى في القرن الثالث عشر للميلاد في شمال افريقيا ذكر ذلك اوسكار شنايدر في رسالة عنوانها زمرد مصر، نشرت في مجلة اتنولوجيا عام ١٨٧٩ ص ٤١ — ٤٣ ويحدثنا ايضاً البيروني الذي طبع كتابه في حيدر آباد ١٣٥٥ هـ بوجود التبر في منابع نهر السند ، لا اعرف مصدرا عصرياً لذلك ولكن جلب هذا الخبر دقة نظر الباحثين ولا يخفى ما لكتاب صفة جزيرة العرب للهمداني طبع اوروبا ذلك المؤلف الذي توفى في سجن صنعـاء سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥) من الاهمية في التنقيب عن كنوز اليمن المعدنية .

(٩) يقوم المجمع اللغوي الملكي في مصر والمجمع العلمي العربي في دمشق بحل هذه القضية ولكن من غير جدوى فهما لا يقومان بنشر هـذه الكتب بصورة عملية فاذا لم يعمل هذا العمل التمهيدي فعبث كل مجهود في هذا السبيل . ولقد بينت اهمية هذه المصادر في مناسبات عديدة وذلك في عدة مقالات نشرتها في مصر وسوريا والعراق . واخيراً تمت بتحرير مقال عن العلوم الطبيعية عند العرب وموقفها من المصادر اليونانية نشرتها مجلة الحديث في حلب تباعاً ابتداء من شهر كانون الثاني بينت فيه ما هو المقتبس والمبتكر جهد طاقتي وحسب المصادر التي هي في متناول يدي .

صلاة

◆

هزني صاحبي ، وقال : أفق . فالصبح ندیان ، ناعم ، يتفتح
قم تفرج . لعل هذا الرواء النضر يوحي اليك شعراً فتصدح
فتثاءبت ، والكرى في جفوني . وتناهضت نحوه اترجح
فاذا الصبح ، في غلالته الزرقاء ، ساج . ينهل طيباً ويلمح
رف وانسل من براعمه الخضر ، طرياً مهفهف الخطو أفيح
بين هدبيه من عطور الليالي ، حلم هزه الضحى فتفتح .
طار ملء الآفاق . في فمه الليل ، ذبيح على الوهاد مجرح
فاستهلت له الرياض . ومد الورد خديه للحبيب ، ولوح
واستفاقت سمر الظلال ، فلفته باهدابها ، فاغفى وصوح
طلع الصبح ! فالفضاء مدى عينيك ، عطر سار ، ونور مجنح
عرس الشمس ، أطرافه في فم الصبح ، وراحت ترقه ، فترنح
نفضت كفه على الارض الواناً عذاباً ، من سرة الشرق ، تنزح
وكأن السماء شقت عراها ، واستطارت في رفرف الشمس تسبح
وعلى الارض نفحة من لهاث الارض ، هبت ، تندى عبيرا وتنضح
غسلت غرة الصباح ومالت بالروابي ، ترفهن ، وتمسح
والطيور استقلت الجو اسراباً ، وراحت تدغدغ الجو ، صدح
مشهد يعقل اللسان . ودنيا ترسل النفس في الفضاء فتسرح
لذة كالنسيم ، ناعمة ، بيضاء ، تنساب في الصدور فتشرح
قلت يا صبح مرحباً . وسألت الشعر ، ماذا ترى ؟ فصلى ، وسبح

وصفي قرنفلي ــ حمص

بيروت والبيروتيون

في عصر ابراهيم باشا المصري

١٨٣٢ - ١٨٤١

بقلم شفيق طاره

الفصل الثالث

المجلس الصحي - اعماله - الحراسة - الطب والتطبيب - معالجات غريبه

في عصر ابراهيم باشا انشأ متسلم بيروت مجلساً صحياً كان من اعماله بناء المحجر الصحي القائم في محلة الكرنتينا فوقى به المدينة وصانها من الكوليرا وسواها من الاوبئة التي كانت تنتشر عاماً بعد عام فتفتك بالوف السكان . وفي ذلك الحين اعني في مدى ثمانية اعوام من حكم الامير محمود نامي بك باسم عزيز مصر رصفت الازقة بالحجارة واصلح جسر بيروت وادخل نظام الرش والكنس ونظام العسس بالليل والحراسة فيها ومن قوانين هذه الانظمة اجبار الاهلين بكنس الاوساخ من امام منازلهم او دكاكينهم واكراه اصحاب البيوت على تسوية المجاري . وكان نظام الحراسة يشبه من بعض الوجوه النظام المتبع في القاهرة ومن مقتضياته ان يحمل السالكون في الطرق ليلاً فوانيس ولو في ليلة مقمرة ويوجه الخفراء النداء الى كل من نظروه من ابناء السبيل ويقولون : من هذا ؟ فيجيب السائر : ابن البلد فيصيح الخفير : وحد الله او وحد فقط فيقول المسيحي : لا اله الا الله . ويجيب المسلم : لا اله الا الله محمد رسول الله .

وكان الضرب عقاباً لمن يلقاه الحارس بلا فانوس . وقلما كان يرى سائر بعد ساعتين او ثلاث من الغروب .

ولم يكن يومئذ في بيروت سوى طبيبين اجنبيين هما (فانديك) و (بطرس لورلا) .

وكان الثاني قنصل النمسا وغرندوقيه توسكانا في المدينة وهو اول من ادخل فن اللقاح (التطعيم) ضد الجدري الى لبنان على طريقة مكتشفه الطبيب الانكليزي جنر وذلك انه حمل اللقاح في سنة ١٨١٠ الى الامير بشير فجرّبه ببعض خاصته اولا وارسلهم الى (برجا) ليخالطوا المجدورين هناك فلما تحقق نجاتهم من العدوى تلقح هو واهل بيته وكان الدكتور يوسف برتران الملقح .

وكانت بيروت خالية من الصيدليات والملاجئ والمستشفيات وانما كانت صحون المساجد والكنائس مأوى للفقراء والمنقطعين الى الله واصحاب العاهات والمسنين يعيشون من صدقات المحسنين . وكان العطارون صيادلة ذلك الزمن لما كانوا يبيعون من العقاقير .

وكان اهل بيروت يعتقدون ان الطب تجربة واختبار ولذلك قالوا في امثالهم العامية (اسأل مجرب ولا تسأل حكيم) وكان الحجامون يفصدون المرضى في فصل الربيع ويستعملون الحراقات في معالجة الدمل وبعض الامراض . وينوب الحلاقون مناب اطباء الاسنان فيقلعون الاضراس بكلاليب حديد ويبيعون دود العلق ويقومون بعمليات الكي والختان . ويتعاطى بعض العجائز وصف الادوية من الاعشاب . وكان بعض الدراويش يطوفون المدينة بالعقاقير ويكتبون الاحجبة والتعاويذ للمصابين تيمناً بزوال الالم . وكان اذا المّ باحدهم صداع يجيئون بدرويش فيمر يده على رأس المصاب ثم يتمتم في سره بعض الادعية واهمين ان في ذلك زوال الالم وحصول البركة .

ومن غريب معالجاتهم كي الرأس لازالة الصداع والبثور التي تظهر في الوجه ويستعملون التمسيد لشفاء وجع المعدة ويجرعون المصدور لبن اتان ويستخرجون السم من لدغة عقرب او افعى بحجر السم في خواتمهم ويستشيرون بذلك الحاوي الذي يربط الحية ويشفي من لدغتها . وكان بعض المحسنين يركبون العقاقير الطبيه ويوزعونها صدقة . ولتقدير ما كان يستحوذ على عقول الاهالي من الخرافات العالقة في الاذهان في صناعة الطب والتطبيب اكتفي بذكر بعض الامثلة وهي قليل من كثير مما

كان قد رسخ في عقول ذلك العصر من الاوهام · ومن ذلك انهم يداكون ظهر الموجوع بزيت قنديل من المساجـد أو الكنائس ويتناولون الحشائش النابتة على جدران المعابد ويزعمون ان من شربها لا تصيبه عاهة مرض · وكانوا يذهبون الى اضرحة بعض الاتقياء (المزارات) وينذرون النذور كالزيت والشمع والبخور ويأتون اليها بالحلي او بالنقود فتنفق في مصالح المزار وعلى خدامه وكذلك عادتهم ان يبطحوا المريض على ارض المزار ويستعينوا بجـدلة يدحرجونها مرات على ظهره وبذلك كانوا يعالجون داء المفاصل · وقد يتركون بعض الامراض بدون علاج كالفـالج ويقولون (فالج لا تعالج) وكان الغالب على اهل بيروت وقتئذ رجالاونساء الامراض الجلدية وكان المصابون بها يستشفون بالحمامات العمومية ويردونها من الضواحي ويدهنون اجسامهم بالادوية الكريهـة الرائحة · ومن غريب عادة الامهات ان يحملن اطفالهن ويقصدن لدار كان يقطنها شيخ صالح من آل المجذوب وهذه الدار كانت معظمة عندهم يأتون اليها غدواً وعشياً فيقبلون عتبتها تبركاً رجاء ان يمن الله على اطفالهن بالشفاء من مرض الشهقة · وهذه العادة لا تخلو من الايمان وتنطبق على مأثور قولهم (آمن بالحجر تبرأ) · ولقد ذكر لي من اعتمده من العارفين باخبار السابقين انه لما باع آل المجذوب دارهم في المدينة ظلت عتبة الدار وقفاً وعدت يومئـذ من المنافع العامة ··· ومن طريف العلاجات انهم كانوا يستعملون قشر البصل وخيوط الرتيلاء كضمامات يضعونها على الجرح او الدمل بعد بلها بالزيت · وكان اذا ظهرت على جفن احدهم بثرة يشحذ من فرن الحي فيعراً ولذلك سموها (الشحاذ) واشترطوا ان يطعم ما يشحذ الى كلب اسود · ومن ذلك ايضـا انهم كانوا يسقون المذعور بول انسان ليزول ما به ويعتدل مزاجه ويداوون (الحازوقة) باغضاب المصاب بها كأن يقـال له : سرقت · سرقت مما يوغر صدره ويعالجون (الوثاب) بالقبض على عرق بين الكتفين

وكانوا يحرقون شعر كلب ويضعونـه على جرح من عقره كلب ويساهرون من عضه كلب كلب سبعة ليال او اربعين ليلة وفي فجر الاربعين يذهبون به الى البحر وهناك يترقبون الشمس حتى اذا اشرقت دفعوه فجأة الى الماء وبما ان من عادة المبتلي بهذا الداء ان ترتعد نفسه لمنظر المياه كانوا يعتقدون ان الرعـدة التي تحصل له آنئذ مما يبعث به على الشفاء · وكانت اصابات الكلب فاشية في الاهلـين وذلك لكثرة الكلاب المنتشرة في المدينة · ومن طريف ما رواه هنري غويس قنصل فرنسا يومئذ في كتابه (بيروت ولبنان) ان غريباً قدم بيروت فخرج يطوف الازقـة ممتطياً صهوة حصانه فازعجـه سرب من الكلاب كانت تنبح وتعترض سبيله فلقي ضابط البلد فقال له في استكراه : ما اكثر الكلاب في هذا البلد · فقال الضابط على الفور : نعم الكلاب كثيرة في بيروت ولكن اكثرها غريب ···

والخلاصة ان الجهل الذي كان مستولياً على عقول الناس في ذلك الزمن وذيوع الامراض المعدية وغير المعدية مما اهاب بابراهيم باشا والامير بشير على ايفاد اول بعثة من اهل البلاد الى مصر لتعلم الطب في (القصر العيني) وكان ذلك خير فاتحة لما حدث فيما بعد من اقبال اخواننا على هذه المهنة ونبوغ اطباء اكفاء بيننا امدوا الطب بشقيه الوقائي والعلاجي بضروب مختلفة من التحسين والتهذيب ·

الفصل الرابع

المكتبات العمومية – الكتاتيب – التعليم – الحميسية – المدارس الارساليات الدينية

لم يكن في بيروت في العصر الذي اكتب عنه مكتبـة عمومية وانما كان لكل جامع ولكل دير خزانة كتب دينية مما يحتاج اليه رجال الدين في مطالعاتهم · وكان جمهور الشعب غارقاً في الامية يوجه همه الى التجارة والصناعة فيزاولهـا على اساليبها التقليدية فيخلف الولد اباه او عمه في مهنته وينهج نهجه فيها دون زيادة ولا نقصان · وكان الصبيان يتلقون عن ابائهم فرائض الوضوء والصلاة وغير ذلك من الواجبات الدينية اما البنت فكانت سجينة البيت مع امها تتلقى عنها اعمال المنزل كالطهي والغسل والكنس وتتدرب على الامومة مشتركة في حمل الاطفال من اخوانها واخواتها ورعاية الصغار وخدمة الكبار وقد تتعلم بعض البنات الخياطة والتطريز ويعهد الى (معلمـة) تعلمهن تلك الاشغال اليدوية في منازلهن ·

ولم يكن للمسلمين ولا لغير المسلمين في بيروت سوى بعض كتاتيب مخصوصة بالبنين . والكتاب حجرة صغيرة واقعة في الزقاق يزدحم فيها الاحداث ضحى الى العصر على حصر ممزقة يجلسون فيها متربعين ويكتبون دروسهم على الواح حجرية سوداء ويقرأون جزءاً من القرآن الكريم او ينشدونه بصوت واحد عال هازين رؤوسهم واجسامهم هزاً الى الامام والى الخلف ويتبع اغلب قراء القرآن هذه العادة ظناً انها تساعد التذكر . والمعلم الذي اصطلحوا على تسميته (بالشيخ) او (الملا) يتلو عليهم في صوت جهوري . با، واو — بو . با، الف — با . با، يا، — بي . ويردد الاطفال هذه المقاطع في تنغيم وترنيم حتى اذا اتقنوا هذا المران اللفظي تدرجوا على الابجدية وعلى قواعد الحساب الاربع وعلى قراءة اسماء الله الحسنى وبعد ذلك يحفظ التلميذ الفاتحة فيكررها حتى يعيدها تماماً ثم يأخذ بحفظ السور الاخرى وعند ما يتم قراءة القرآن من اوله الى اخره تردد الالسنة ان الولد النجيب والطالب اللبيب فلان بن فلان ختم القرآن اشارة الى انه قضى مدة الدراسة واستوفى علم الزمان ...

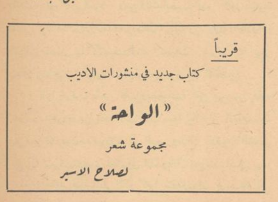
وكان اغلب معلمي الكتاتيب لا تتعدى معارفهم بعض الاناشيد والادعية وقراءة القرآن الكريم . وكان الضرب بالفلق والطبشة عقابا للتلاميذ المذنبين وكانت عادة الملا ان يجلس في صدر الكتاب ويحمل بيده عصا طويلة يهش بها على الاحداث ويحثهم على مواظبة الدرس كلما رأى احدهم يتثائب ، او يتقاعس او يتلهى باي لهو كان . وكان الاحداث يجابون معهم طعامهم في ارغفة ملفوفة بمناديل ويتغدون في الكتاب وعند العصر يقبلون يد الملا واحداً واحداً وينصرفون .

كذلك كان التعلم في الكتاتيب مقصوراً على حفظ واستظهار بعض القراءات الدينية وقليل من الحساب للحاجة اليها في مواقيت الصلاة والمعاملات وكانت كتاتيب المسلمين بعضها ملحقاً بالمساجد يديرها معلم يتقاضى مرتبه من الوقف والبعض الاخر يعلم لقاء اجرة معلومة يقبضها من اولياء الاطفال كل خميس وتسمى (الخميسية)

وكان من يطيب له ان يأخذ بحظ من اللغة والعلوم الدينية يقصد للجامع الاموي في دمشق وللازهر في القاهرة . ومنهم من كان يتلقى النحو او الحديث على بعض النحاة او الفقهاء اما ابناء الطوائف الاخرى فكانت كتاتيبهم قائمة في اديار الرهبان وبجانب الكنائس ولا تختلف عن الاولى في شؤونها وكان كل كاهن معلماً وكثيراً ما كانت الاسر البيروتية الغنية ترسل ابناءها الى مدارس الجبل وفي قرى الجبل يومئذ مدرسة (عين ورقة) يدرس فيها الخوري ارسانيوس الفاخوري ، ومدرسة (مشموشة) يدرس فيها الشيخ ابراهيم الاحدب . ومدرسة (عين طورا) للعازاريين ومدرسة (عبيه) للبروتستنت يرأسها المستشرق الدكتور فانديك ويدرس فيها المعلم بطرس البستاني ومدرسة (غزير) للاباء اليسوعيين وقد دفع انحطاط مستوى التعلم في المدينة البعثات الاجنبية الدينية على اختلاف مذاهبها فانحدرت من الجبل واستقرت في بيروت فسكن اول ما سكن الرهبان العازريون في شرق ساحة الشهداء وقطن البروتستانت قرب باب يعقوب واقتنى الرهبان اليسوعيون ملكاً في حي الصيفي المعروف وبنوا فيه ديراً لهم ومدرسة للاحداث ولا يزال يرى بعض اثاره ويعرف في وقتنا باسمهم في تلك المحلة

وبفضل وجود البعثات اللاتينية من جانب والبروتستانتية من آخر تعددت المدارس واتسع نطاق التعليم وكان ذلك توطئة لانشاء المعاهد التعليمية المختلفة فيما بعد وعاملا فعالا في محو الامية وبعث الحركة العلمية التي نرى اثرها بادياً في هذه البلاد

شفيق طباره



وراء الجدار

◆

ما وراء الجدار ، كيف تنا   مين وبي للّقاء دنيا انتظارِ

وجهك العنبريّ وجهي على العمر   توارى في المخدع المتواري

فاذا تغمضين عيناً فعيني   في التفاتٍ الى شقوق الجدار

تتملى اذني الهدوء وتشدو   غصة الوجد في الحديث المعار

ما الذي تضمرين ، اي رياحٍ   تتولى هواكِ ، اي انهيارِ

خفق العرق بالدماء ونات   رغبةٌ منكِ في السوادِ المداري

وانا مطلب غريب الاسارير   هويت الخريف في آذاري

ارقب البث ههنا من شفاه   ترسل البوح في الضمير العاري

بان لي وجهها وراء الجدار   ما الذي قاله فكان نهاري

وانقضى دوننا الهزيع وألوى   سحرُ حلمٍ كنغمةٍ في قرارِ

تستجيبين للنداء ، اراك اليوم   في حيرة وحرّ احتضارِ

أمسُكِ المستفيق ، يلهو بقلبينا   فتندي المنى حراراً عوادي

ام تغضين دمية من دمى الهندوسِ   مالت على لهيب النارِ

تنهل الطهر من عروق الافاعي   وتريق السموم في اسحاري

قربتها يد القساة نذوراً   خضبت بالجراح قدس المزار

*

ما وراء الجدار انت انتظارٌ   مترف الدفء ، اروع الاسرار

صلاح الاسير

التوقيعات في الادب العربي

بقلم بهيج عثمان
ليسانسيه بامتياز في الاداب من جامعة فؤاد الاول

التوقيع هو تلك الكلمات الموجزة التي يكتبها خليفة او وزير أو رئيس ديوان ، في شأن من شؤون الدولة . وكانت تكتب عادة في آخر الكتب الواردة من الولايات ، فيبدي الموقع رأيه في الكتاب ، ويجري عليه حكمه ، سواء كان ذلك الحكم انصافاً لمظلوم من حيف وقع عليه او تحقيقاً لرغبة صاحب الكتاب ، او رفضاً لطلب طلبه . فالتوقيع اذن دلالة على ان الرسالة قرأت من ناحية ، وجواب موجز عليها من ناحية اخرى .

عُني الخلفاء والوزراء والولاة بالتوقيع عناية شديدة وكَلِف بعضهم به اشد الكلف ، حتى اصبح في حين من الدهر فناً من فنون الانشاء يتبارى في اجادته الخلفاء والوزراء ، ويترقب المتشوقون صدوره من الذين برعوا فيه ، وكانوا يبذلون قدراً من الدراهم في سبيل التوقيع الواحد .

وليس التوقيع بدعاً في الادب العربي بل تروي كتب الادب الشيء الكثير من توقيعات اردشير وكسرى وغيرهما من ملوك الفرس ..
ولم يتح للتوقيع شأن عظيم في التاريخ الادبي للعرب كما اتيح للحكم والامثال والوصايا ، فلم يدرس دراسة اسلوبية بل اهمل اهمالا لعله يرجع الى ان التوقيع كان عملاً رسمياً من اعمال الدولة ، فيه جو المنصب وتفكير الموظفين .. ولكن التوقيع مع هذا ، او من اجل هذا ، فن من فنون الكتابة يمثل ناحية خاصة من نواحي الانشاء ، ووجهاً من وجوه التفكير ..

يروي التاريخ العربي ، ان اول توقيع عرف ، كان لعمر بن الخطاب ، فقد كتب الى سعد بن ابي وقاص يجيبه في بنيان : « ابن ما يكنك من الهواجر واذى المطر . » ووقع كذلك لعمرو بن العاص « كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك اميرك . »

واشتهر التوقيع بعد ذلك بين الخلفاء الراشدين والامويين ، وبالرغم من ان الحضارة التي ازدهرت في اواخر القرن الاول اقتضت التفخيم ، والاتساع في تجويده ، فان كثرة الاعمال من ناحية ثانية لدى الخلفاء والعمال ، اقتضت بان يبالغوا في الايجاز في ردودهم ، او فيما يبدونه من آراء عن ما يقدم لهم من ظلامات او مطالب ، وهم مضطرون اذا ما وقعوا ان يجيبوا على الكلام الذي قرأوا ، وهم مضطرون ان يتخلصوا من بعض الطلبات التي ترفع اليهم ، بألوان من التخلص قد تكون طريفة احياناً ، فهذا علي ابن ابي طالب يوقع في كتاب سلمان الفارسي عندما سأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة ؟ يوقع « يحاسبون كما يرزقون » ، وهذا ابو جعفر المنصور لا يريد ان يدفع شيئاً لهذا الرجل الذي يشكو الفقر ويطلب المساعدة فوقع « سل الله من رزقه » وكذلك وقع في قصة رجل سأله ان يبني له منزلا بقربة لان مصلاه بعيد عن مسكنه ، فقال : « ذلك اعظم لثوابك . »

واذا كان الموقع يحاول في مثل هذه التوقيعات ان يتهرب من كتابة الجواب كتابة واضحة لا لف فيها ولا دوران ، فان بعض التوقيعات كانت توجه الى الموقع اليه توجيها عنيفاً قاسياً ، فتتهمه مرة وتأمره مرة اخري ، وتهدده في كليهما جميعاً ..

كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يخبره بقوة ابن الاشعث ، وعظم جيشه ، فوقع له عبد الملك : « بضعفك قوي » وكانت هذه الكلمة الموجزة ، خيراً من كتاب طويل مفصل ، واقوي من مجموعة من الاتهامات تصب في رسالة من الرسائل .

واذا اراد زياد ان يوقع الى صاحب خراسان في امر خالفه فيه ، لم يجد خيراً من هذا التوقيع بما فيه من قوة وشدة وعنف . قال : استر بعض دينك ببعض والا ذهب كله . »

ومثله توقيع يزيد بن الوليد الى مروان ، الذي كان متردداً في مبايعته للخليفة : « اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى ، فاذا جاءك كتابي هذا فاعتمد على ايهما شئت . »

على ان هذا الايجاز المعجز الذي كان ملاك التوقيع في العصر الاسلامي الاول لم يستطع ان يعيش طويلا في ظل العصر العباسي ، فقد تبدلت الوان الحياة ، وتعقدت مرافقها ، وطرأ على الامة العربية شعوب لم تستطع ان تتذوق حلاوة الايجاز التي تذوقها العرب ، ووجدوا

شيئاً من العناء في فهم هذه الجوامع من الكلم المختصرة ، ثم كانت لهذه الشعوب من نحو آخر ثقافات خاصة ومناهج في الكتابة مختلفة فلم يألفوا الايجاز ولم يعودوا على الاختصار . ومرت فترة كان فيها بعض كتاب اللغة العربية من هؤلاء الدخلاء . فاثروا في الكتابة العربية تأثيراً بعيداً وحل التطويل والاسهاب رويداً رويداً محل الايجاز والاجمال .

وقد اتخذ التطور في التوقيع اشكالا متعددة لعل اهمها انه كان نوعاً من الاستشهاد والاقتباس وانه كان صناعة انيقة ليس فيها شيء من قوة الارتجال ولا اثر من اندفاع البديهة بل اجهاد فكر واعداد جمل ، وتدبيج كلمات ..

وقع السفاح في قصة عامل ظلم الناس بآية من القرآن الكريم هي : « وما كنت متخذ المضلين عضدا » ووقع المنصور لعامل ظلم الناس ايضاً بآية « لا ينال عهدي الظالمين » ووقع المنصور ايضاً لاهل الكوفة عند ما شكوا اليه عاملهم « كما تكونون يؤمر عليكم »

وراجت طريقة الاقتباس من القرآن والاستشهاد بآياته في توقيعات الخلفاء رواجاً عظيما حتى اصبحت بعض الآيات تتردد دائماً في توقيعات خاصة كهذه الآيات التي سردناها . وبديهي ان البراعة ليست في جمال معنى الآية او حكمتها البالغة وانما في القدرة على الاختيار وفي مدى التوفيق الذي يصيبه الموقع في ايجاد قوة العلاقة بين الاية المستشهد بها وبين موضوع الكتاب نفسه .

والى جانب هذا الاستشهاد حاول بعض الموقعين ان يأتوا بالتوقيع الموجز والممعن في الايجاز احياناً ولكن هذا الايجاز المصنوع والتأنق المتكلف لم يكن في شيء كايجاز التوقيعات الاموية شدة وارسالا : فقد وقع الفضل بن سهل الى صاحب الشرطة : « ترفق توفق » وقال عمرو بن مسعدة : كتبت الى عامل كتاباً اطلته ، فاخذه المأمون من بين يدي وكتب : « كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت ... » .

حاول المأمون ان يقول كلاماً قليلا نافعاً ، وموجزاً مؤثراً ، فاقل واوجز ولكنه اضطر ان يتكلف ويتأنق ...

وقد اتيح للصاحب بن عباد فيما بعد ان تكون توقيعاته موجزة بعض الشيء . ولكنها لم تكن تخلو احياناً من بعض التأنق ، ومما يروى له انه كتب اليه شخص رقعة سرق فيها كثيراً من تعابيره وجمله ، فوقع فيها « هذه بضاعتنا ردت الينا » ووقع في قصة استحسنها « افسحر هذا ام انتم لا تبصرون » ...

وبالرغم من ان هذه التوقيعات كانت تصدر اكثر ما تصدر — عن الخلفاء ، فقد تخلل بعضها روح مرحة وجو طلق بعيد عن جو الحكم والسلطان ، جاء التوقيع بعد ذلك جملا طريفة وجوابا ممتعا ، كتب قتيبة بن مسلم الى سليمان بن عبد الملك يتهدده بالخلع فلم يزد سليمان في توقيعه عن ذكر بيت جرير المشهور الذي يمثل الاستهزاء القاتل والتهكم المرير ، حتى يصبح لهذا التهديد بالخلع معان اخرى هي الاطمئنان على منصب الخلافة والارتياح الى بقائه الى مدى طويل ... فوقع :

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعاً   ابشر بطول سلامة يا مربع

ومن اطرف هذه التوقيعات التي تشيع فيها الروح المرحة والجواب الرحب توقيع معاوية ابن ابي سفيان عند ما كتب اليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله ان يعينه في بناء داره بالبصرة باثني عشر الف جذع ، فوقع على رسالته :

« دارك في البصرة او البصرة في دارك » ! .

* * *

تلك نماذج متنوعة من التوقيعات التي انتشرت بين الخلفاء والعمال ، والتي كانت تمثل الادب الارستوقراطي والرسمي جميعاً ، فلم يكن شعبياً ، وان اغرم الناس بسماعه وتلهفوا لصدوره .

ومن اجل هذا لم يحافظ التوقيع على قيمته الادبية ، وعلى ايجازه المعجز ، مدى طويلا ، فلم يكد العصر العباسي الاول ينقضي حتى اصبح اكثر الخلفاء اشخاصا لا يجيدون الكتابة ولا يشرفون على امور الدولة بانفسهم ، واصبحت التوقيعات من عمل كتاب معينين ، وما زالت التوقيعات في ايدي هؤلاء الكتاب حتى اصبح لها فيما بعد طرائق في كتابتها خاصة ، ومناهج لا ينبغي للموقع ان يتعداها ، واختلفت انواع التوقيعات ، فالتوقيع المرسل الى عامل خراسان غير التوقيع المرسل الى صاحب البريد مثلا ويطيل صبح الاعشى في ذكر الهيكل ورسم النماذج التي يجب ان يسير عليها كتاب الدواوين في التوقيعات وبذلك تضاءل فن من فنون الكتابة ، واصبح رسالة مثل بقية الرسائل لا يكاد يختلف عنها .

ربيع عثمان

عاصفة صوفية

ORAGE MYSTIQUE

أيوسع مخلوق حي ان يرى اعزاءه بعد موتهم وان يخاطبهم ؟

يدور موضوع هذه المسرحية التي وضعها الكاتب الفرنسي فرانسوى ده كوريل في العام ١٩٢٧ حول مسألة الحياة بعد الموت، لاحول خلود النفس بل حول امكان الاحياء الاتصال بالاموات . وقد اوضح المؤلف فكرته بلسان الدكتور توبال ، احد ابطال مسرحيته ، فقال ان الاشباح ليست في الحقيقة سوى انعكاسات خارجية لما يجول في الفكر ، واورد تحليلاً دقيقاً للعوامل التي حملت الشاعر روبر بتريل ، بطل المسرحية ، على الاعتقاد بانه رأى بام عينيه خيال زوجته الميتة .

ويحملنا المؤلف على التفكير في الشخصية البشرية ، وفي القوي السرية التي تحرك العقل الباطن ، وفي مجموعة العناصر الغامضة التي يتألف منها الفرد، فنحن يخيل الينا اننا نحن انفسنا في حين اننا عبارة عن الوف الارواح التي تستمر فينا وهي من عنصرنا ومن دمنا .

أيوسع مخلوق حي ان يري اعزاءه بعد موتهم وان يخاطبهم ؟ فالسيد فرانسوى ده كوريل يذهب الى ان الشخص الحقيقي — اذا كان حقاً ان الانسان شخص حقيقي — لا يحسب شيئاً لا في الموت ولا في الحب . فهو ليس سوى علة لتلك الاحلام ، لتلك الآمال والاماني التي يبنيها القلب والفكر وتخلص الى خلق شخصية من المشتهيات والنزعات والاوهام ومن الفطنة والادراك والجهل .

وماذا يعرف الاحياء؟ فالاحياء متكونون من ملايين الاموات، من اجزاء الماضي التي تؤلف من جديد ولعدة سنوات مخلوقاً لايلبث هو بدوره ان يلتحق بشعب الاموات بعد ان يكون قد اورث خلائق مقبلة بضعاً من ذراته . فكم من مخلوق يعيش في كل منا ! والشاعر ، ألا يزداد عظمة حين يخيل اليه انه يذعن الى اصوات قديمة سرية تملي عليه كلمات جديدة ؟ فالاحلام التي تقيم بخيال روبر بتريل وتود ان تحيا يخلقها موت زوجته من جديد . ولذلك يعتقد انه رآها في ثوب العرس ، في انقى وجه من وجوه الشباب . على ان الدكتور توبال يؤكد انها لم تكن سوى انعكاس خارجي من احلام روبر الشاعر الذي ولد ليحيي احلامه ، ولكن من يدري ما هو صحيح وما هو غير صحيح ؟ .



روبر بتريل امام طيف زوجته الميتة

قال روبر لصديقه توبال في الفصل الثاني من هذه المسرحية :

— لا اخالك تجهل كيف كان شهري العسل مع كلوتيلد . فقد كان قصيدة لذيذة . وفي مساء يوم قالت لي كلوتيلد : « ان حبنا لاقوى بكثير من ان يستطيع الموت فصل احدنا عن الآخر . فاقسم لي انك اذا رحلت قبلي من هذا العالم تحافظ على وفائك لي في العالم الآخر » فاقسمت لها بدون تردد . واقسمت هي القسم نفسه ، ثم قالت : « هذا لا يكفي ، فلنتفق على ان نعرب عن هذا الوفاء بنداء يعقب الاثنتي عشرة ساعة التي تتلو النفس الاخير بعد مرور سنة على الوفاة » . وها قد مرت سنة كاملة على موت زوجتي ، وفي الساعة الواحدة والثلث من الصباح يجب ان اسمع نداءها وان اراها .

توبال : ترى كلوتيلد ؟

روبر : ولم لا ؟ أتستغرب ؟

توبال : لا ، فكثيراً ما رأيتك بأم عيني وانت تكتب دائماً على حشد ذكرياتك لتشق لنفسك طريقاً الى الرؤيا . والآن ، في هذه الساعة ، اراك منقاداً الى العقل الباطن الذي يعاونك في عملك .

روبر : صحيح ، فاشخاص قصصي او قصائدي كثيراً ما تتجاوزني .

توبال : ذلك ان عقلك الباطن يصرفك ليتولى هو نفسه العمل مكانك ، فعقلك الباطن هو الوسيط (الميد يوم) بينك وبين احلامك . ألم يتفق لك ان خاطبت ميتاً في حلمك ؟ .

روبر : بلى

توبال : ان ان احلامنا تمر في عقلنا الباطن المتأثر باجدادنا وهم بعد احياء بالوراثة وان ماتوا ، ويفضي بنا ازدواجهم الروحي والجسدي الى ان نمزج الاموات والاحياء في حلم واحد .

روبر : ماذا يهمني اكنت خيالياً مستغرقاً في حلمه ام وسيطاً بشرط ان ارى كلوتيلد . انت تعتقد انه اذا تمت الاعجوبة اكون لعبة بيد عقلي الباطن . ولكن العلم اثبت ظهور عدد كبير من الارواح .

توبال : لا شك انك قرأت مؤلفات ميبرس ولودج وباريت ووليم جمس وسواهم . فهؤلاء العلماء كانوا مستقيمين ، ولكن لي عليهم اعتراض كبير . فحوادث ظهور الارواح كثيرة في بلادهم على ان الارواح في ارلندا تظهر دائماً حزينة شاحبة . فلِمَ الحزن والشحوب ما دامت الروح تنتقل الى حياة جديدة ؟ او ليس الحزن في مخيلة الرائي لا على سيماء الشبح ؟ سوى ان امثال هذه الرؤى لا تظهر في شعوب اوروبا الهدية .

ولننتقل الى الفصل الثالث والاخير فنرى توبال وروبر وقد جاءا الى المقبرة تلبية للموعد المضروب بين روبر وزوجته الميتة .

روبر : (مشيراً الى القبر) اجل ، انها تنتظرني .

توبال : وستراها ، ولكنها لن تكون هي .

روبر : تريد ان تقول ان كلوتيلد ستخرج من دماغي وتقف امامي لتقول لي ما اقوله انا بنفسي ولكني سأرى كلوتيلد بام عيني .

توبال : ان العيون ادوات بصر ذات غرضين ، فهي تدخل الينا المناظر الخارجية من جهة ، وتطرح من جهة اخرى الى الخارج رؤى مضطرمة لاشتراكها في جسدنا ولتأثرها باهوائنا ومشتهياتنا .

روبر بتريل والدكتور توبال في المقبرة

روبر : اذن انت تعتقد ان فكري يضع في حدقتي صورة مكرسكوبية تطرحها ارادتي على هذه الدغلة مثلاً كما تطرح الصور على الشاشة البيضاء ؟ .

توبال : كان اجدادنا قبل اختراع التصوير الشمسي بالآف السنين يذهبون الى ان صورة القاتل تبقى مطبوعة في اعماق عيني الضحية .

روبر : بعد كل هذه الافتراضات الحاذقة التي تهدم كل اعتقاداتي الا تجد لي افتراضاً يحملني على الاعتقاد بان كلوتيلد

ستحضر ؟

توبال : جئني بدليـــل قاطع على ظهور حقيقي فأكون اسعد خلق الله .

روبر : وكيف اجيئك بهذا الدليل ؟

توبال : بمراقبة دقيقة للاشياء التي ستشهدها ، فكل ما يقوله لك الشبح لا ينبغي ان تأخذ به اذا كان ثمة رابطة ما بينه وبين افكار أخذت بها او بين حوادث كان لك صلة بها . يجب ان تطلب من الشبح ان يكشف لك سراً من الاسرار الخطيرة التي ادركها في الكون .

واذ يبتعد توبال يضع روبر جبينه على القبر وينادي :

— كلوتيلد ! . هاأنذا قدجئت براً بقسمنا القديم . أتسمعينني من اعماق سجنك الرهيب ؟

صوت كلوتيلد : (لاهثاً وكأنه صادر من غور بعيد)روبر! روبر ! . .

روبر : (مذعوراً وعيناه محدقتان الى القبر) انها حية ! . .

صوت كلوتيلد : (يمر كحفيف الاوراق) اناحرة تحت النجوم .

روبر : كلوتيلد! . أين انت؟ . أتوسل اليك ان تظهري .

كلوتيلد : ها أنذا . . (تظهر بثوب العرس في الدغلة التي كان روبر قد اشار اليها .)

روبر :(مذعوراً متلعثماً) كلوتيلد ! . انت ! لا . . لا اعرف !

كلوتيلد (مبتسمة) روبر ! . .

روبر : آه ! ابتسامتك ! . . انها تسكن قليلاً من روعي . . اذن فالقسم يجتاز عتبة المقدور! . . كلوتيلد . . اين حلقة الزواج ، وقد وضعت معك في التابوت .

كلوتيلد : (تبسط يدها) انظر ! انك ترى جسداً وروحاً المرأة التي بارك الكاهن اتحادها بك كيلا نصبح الا جسداً واحداً . ولقد استعدت جمالي في العشرين لترى بام عينك الصورة التي في حلمك

روبر : حلمي ! . . ألم يخطئني سمعي ؟ . . حلمي . . الصورة . . أكلوتيلد انت ام لست كلوتيلد ؟

كلوتيلد : أصغ الي . سأقطع لك دليلاً مادياً على وجودي . (تتناول عرقاً من الدغلة وتقصفه) أترى هذا الغصن الصغير الذي قطعته ؟ واين موضعه من الدغلة . وحين يتهمك الطبيب بالهذيان اسأله متى كان للوهم قدرة على قطع الخشب ؟

روبر : آه ! كلوتيلد، انك تنقذينني من شكوكي فشكراً لك

واذ تختفي كلوتيلد يقع روبر على ركبتيه ويستغرق في تحنان عميق . وبعد هنيهة يعود توبال فيهز كتف صديقه ويوقظه .

روبر : لا ازال تحت تأثير ما شهدت . لقد شهدت كلوتيلد وهي في عنفوان شبابها وجمالها ، وفيما انا اكلمها خطفتها يد قادرة .

توبال : خطفتها ؟ وهل رأيت اليد ؟

روبر : لا ، ولكن خاطفها لم يدعها تكمل عبارتها الاخيرة .

توبال : وهل حدثتك عن الله ؟

روبر : ابداً .

توبال: وانت ، اكنت تفكر في الله ؟

روبر : دائماً ! وهل بوسع امرىء يخاطب ميتاً ان لايفكر في الله ؟

توبال : لقد انكشف سر اليدالقادرة التي خطفت زوجتك .

روبر : قل ما شئت، فقد رأيت كلوتيلد وخاطبتها وخاطبتني وتركت لي دليلاً قاطعاً على حضورها .

توبال : واين هو هذا الدليل ؟

روبر : لقد قصفت بيدها غصناً من هذه الدغلة .

توبال : ان ما تقوله لعلى جانب كبير من الاهمية . (يخرج مصباحه من جيبه) اين الغصن المقصوف ؟

روبر : (يمضي بتوبال الى الدغلة) كانت كلوتيلد واقفة هنا . والغصن المقصوف . هذا هو !

توبال : (يتفحص الغصن) غريب! عجيب !(يبتسم) ولكن هذا غصن آخر . وهذا آخر . ثلاثة اغصان متشابهة ! فأياً منها تختار؟

روبر : (مرتبكاً) ! . صحيح ولكني لن ادعك تقتل بحججك الصارمة الزوجة التي رأيتها بام عيني حية . . فتعال نذهب .

وهكذا يختم فرانسوى ده كوريل مسرحيته « عاصفة صوفية » التي كتبها ليثبت ان الانسان ينقل الى لوحة من الاحلام الاشباح التي يكونها فكره ، ويطلق على هذه اللوحة اسم العالم الخارجي ، فنحن لانفسنا سجن دائم ، وكل منا يزين سجنه المصنوع من فقاقيع صابون بغرائب الصور التي يخترعها بدون انقطاع . وهو لايرى الا هذه الصور . والواقع اننا نعيش بين اشباح ولا نعلم انها اشباح . نعيش بين اصدقائنا واعدائنا واعذب الوجوه جاهلين انهم اخيلة باطلة ، ورؤيا من رؤى الفكر ، بخار ننسجه بانفسنا . فالذين نسميهم احياء ليسوا اكثر حقيقة من الموتى . واعيننا التي نعتقد انها خلقت لتدخل الينا العالم ليست في الحقيقة الا ادوات تخرج العالم منا . وهكذا الوهم العظيم لا يزول الا حين الفقاقيع ونغمض اعيننا الى الابد ! .

الادب التركي الحديث



« باشار نبي »

من الشعراء الترك الشباب المجددين . ولد في اوسكوب وهاجرها مع عائلته ليقيم في استنبول حيث تخرّج في كبريات معاهدها . وسنة ١٩٣٧ نشر ، مع ستة من اصدقائه ، مؤلفاً سمي « المشاعيل السبعة » . احدث ضجة عالية في عالم الادب .

ولباشار نبي مجموعات شعرية عدة اروعها : « الابطال » « والعشاريات » . وله ايضاً مؤلفات قصصية منها : « آدم وحواء » و« امرأة تتكلم » كما له مسرحيات وترجمات .

من « عشارياته » هاتان المقطوعتان .

« امام المصور »

١ — « استوي هكذا ، لا تتحركي ،أستوي هكذا برهة بعد .
« هي هذه وقفتك . هذه هي اجمل وقفاتك
« نعم هكذا .. فهامتك ارفع وقدك الين .
« ووجهك الانور يشع ببهاء مقدس ، اشباه وجه في ايقونة .
« والمصباح الازرق المدلي خيوط النور على شعرك يصبغه بألف لون
« والكبرياء تلفك كرداء مخملي .
« والضحكة المنبلجة من ثغرك لا تمحو اسارير محياك .
« اتيحي لناظريّ ، بعد ، روعة هذا المشهد .
« قفي لا تتحركي كتمثال من الرخام الابيض .
« استوي هكذا برهة بعد ، برهة بعد هكذا .

***

٢ — « بينا ترش الصنوبرات الخضر شعاعات القمر على الساقية .
« اتركي يديك بتؤدة لتيار الماء الفاتر
« وتلوعي بدورك مثلي ، ادركي بدورك
« انه الوقت ، وليس الماء ، يجري من راحتيك
« ليس على وجه الماء اي اثر للزبد ولا اخاديد .
« ووجهك صاف صفاء البحر الذي تطلّين عليه .
« ان الذكريات ، هذه الليلة ، عالم يختلج فينا .
« واذا اصغيت سمعت كلمات لم تتحرك بها شفتاي .
« ان البحر ، هذه الليلة ، يرتعش في عينيك
« وانت غمت وراء عينيك الزرقاوين ، وغام البحر فيك
« انت يادنيا خضراء .!

« الازمان احلام »

« ان الستائر التي تحجب السنين العديدة
« تتبدل فجأة امام اعيننا الذاهلة
« وتتقلص السنون احياناً حتى تصبح ساعات معدودات
« وننجرّ وراءها كقارب سكران
« ويحدث ان السنين هذه تغيّب وجها اشقر
« كنت الى امس القريب تحبينه .
« وتمحي الساعات وتمضي كمثل هذه الليالي الساكنة
« التي تمحو اخاديد وجه البحر .
« وتقع عينك ، مرة ، عفواً ، على سطر
« فيحمل اليك هذا السطر ذكريات اشياء باعدة العهد .
« تدور بخيالك دوراناً محموماً ضمن نطاق السنوات المديدة ،
« لا تحاولي ان تعلمي لماذا هذه الليلة تنطوي على دهر .
« ولماذا يعدد قلبك هذه الهنيهة سنة كاملة .
« ان خيالك يخدعك خداع الحبيبة .
« لان الزمن حلم جميل ومضطرب .

غنطوس الرامي

افق

على حواشي افقك المخملي ... طيوف افراح ، وحلم طلي
احسه وهماً فيا للمنى .. ... ويا لهذا الجامح المول ..
هامت به الآلام مجنونة ... فما خلا منها وكان الخلي ..
كأنما دنياه اغماءة ... عميقة الآباد لا تنجلي
تغيب فيها النفس عن وعيها ... خرساء لاتصحو الى مأمل ...
لها من الآهات أرجوحة ... حبالها في مهده الاول
ترنحت فازينت لهفة ... واغرورقت عين فلم تبخل ..
ما ضرها والفجر يهفو لها ... لو صفق المحزون للبلبل ..؟
اكلما ثارت عذاباتها .. ... قالت لحادي الهم لا ترحل ؟
وأي قلب لم يذق لوعة ... ولم يضق بالبارد السلسل ؟؟
حزني عليها حزن معشوقة ... ولت وفي الاحناء شوق جلي ..
وداعها كان على غفلة ... وطرفها النديان لم يغفل ..

...

سمراء يا اولى اغاريدنا ... ويا لهاث الماء في الجدول ..
لولاك يا سمراء ما لوّحت ... خناجر الركبان للمنهل ؟
اتسألين القلب عن حبه ... لا تسألي المفتون لا تسألي ..
يكفيه من آلامه انه .. ... افرغ اكوابي ولم يثمل ..
يظل يستجدي اكف الهوى ... فلوعة تمضي واخرى تلي ..
وادمع في الجفن مخنوقة ... همت بها العين ولم تفعل ..
هيهات يغريها حديث الدجى ... وهاتف صاح بها هللي ..

انور الجندي ــ السليمية

الى مؤنستي

تعالي واجلسي قربي ... فما احلاك في قلبي
تعالي غنني لحناً ... بصوت مسكر عذب
تعالي حدثي قلبي ... حديث الصب للصب
حديث الحاني المعسو ... ل في جو من الحب

...

تعالي فالدجى غاف ... من الاعياء والجهد
تعالي غض ساعات ... تطفي لاعج الوجد
فهذا البدر يدعونا ... وهذا الشفق الوردي
وذي آمالنا الولهى ... تشق غياهب اللحد

...

تعالي فالنسيم الطلق هفهاف برؤيانا
وهذا الروض يا حسنا ... ء بسام بلقيانا
ففيه خميلة سكرى ... تضم الزهر الوانا
اليك القلب فاتكئي ... عليه واهدأي آنا

مصطفى الحداد ــ الباب

العالم بعد الحرب

كما يراه المفكرون ورجال القلم

●

انصرف كثيرون من الزعماء ورؤساء الحكومات الى بحث العالم وتنظيمه بعد الحرب ، ولا يزال البحث مستمراً ، لما يتصل بالموضوع من شعاب وفروع متشابكة لا عداد لها .

ولسنا ننوي هنـا ، ان نرافق الرؤساء والزعماء في ابحاثهم ، فلعل من الحق ان نتجه باهتمامنـا الى طوائف المفكرين ورجال العلم ، لان هؤلاء عرضة للنسيان في غمارات الصحافة اليومية ، مع ان لآرائهم قيمتها العظيمة اذ ان المفكرين الكبار ورجال القلم البارزين تكون صلتهم وثيقة بضمائر شعوبهم ورغباتها .

والذي يطالع اقوال هؤلاء المفكرين ورجال القلم ، يرى انهم على وجه عام ، يقسمون مشكلة العالم بعد الحرب الى قسمين رئيسيين يتناول احدهما مسألة الاصلاح الداخلي والانصاف الاجتماعي في كل امة ، ويتناول الاخر مسألة العلاقة بين الدول القوية والشعوب المغلوبة على امرها ، وهذه الشعوب تقع في فئتين : الفئة المغلوبة لالمانيا ، والفئة التي تتعلق مشاكلها باحدى دول الحلفاء . ونرى من الخير ان نترك الكلام لعدد من هؤلاء المفكرين انفسهم :

فرانسيس ب. سايري الاميركي

كتب فرانسيس ب . سايري المفكر الاميركي المعروف في مجلة نيويورك تايمس (عدد ٥ تموز ١٩٤٢) يقول :

« يجب ان يوضح موقف اميركا . ان الباعث الاساسي على انتهاج اليابان خطة اعتدائية هو طلب الاستعمار والاستثمار . ولكن اليابان ماهرة في تستير مآربها الحقيقية بزعمها انها انما تحارب الاستثمار الاميركي والاوروبي في سبيل مصلحة آسيا . آسيا للآسيويين ! هذا هو شعارها . فواجب على اميركا ان تقـابل هذا السلاح بسلاح فكري يكون هو الحقيقة . ان منبع حركات اليابان هو الاستعمار باقبح اشكاله . واميركا والامم المتحدة تحارب من اجل الديمقراطية وحقوق الانسانية — حقوق الاسيويين وحقوق الاميركيين والاوربيين ان هذا قبل كل شيء ، يجب ان يكون واضحاً وموضع ثقة ! »

همبرو النروجي

وكتب همبرو ، احد اعلام الفكر النروجي ، كتاباً كبيراً عن تنظيم العالم بعد الحرب ، جاء فيه :

« كل طريق من الطرق تستهدف الوصول بنـا الى مستقبل اصلح يجب ان نعبدها ونبلطها بالكلام الصريح وبالتعامل الخاص الصادق . والسلام — السلام الحي ! لا يقوم الا على ازالة لقـلة الانصاف بين هيئات المجتمع الواحد ، وبين امة وامة . ان حقوق الامم الصغيرة مقدسة كحقوق الامم الكبيرة ، سواء بسواء . ومبدأ تقديم حقوق الدول القوية على غيرها هو في الواقع شقيق المبدأ الهتلري . والنازية لم تقل يوماً اكثر من هذا : ان المانيا كبيرة وقوية فلها حق ابتلاع الشعوب الصغيرة ! » .

اميل لودفيج الالماني

وقال الكاتب الالماني اميـل لودفيج ، في كتابه الاخير : « الالمان » ما يلي :

« ان الفكرة التي تقول بمعاقبة المانيا بعد هزيمتهـا ، من غير ما تبديل في البناء العالمي يركزه على اسس من العدل انمـا هي فكرة ساذجة ، او هي فكرة لا تستهدف حل المشكل العالمي وما اجدرها ان تسوق الى حرب جديدة يدعي فيهـا قوم انهم ينتقمون من قوم . يجب ان تختط الاسس العادلة لعائلة شاملة من الامم تشترك فيها المانيا وينزع السلاح ، فتصبح المانيا عاجزة عن اثارة حرب كولاية كاليفورنيا مثلاً .

كيليبي الاديب الفرنسي

وقال كيليبي الكاتب الفرنسي المعروف من مقال له :

« ان قوة فرنسا اليوم اكثر منها كل يوم ، هي بقوة مبادىء الحرية التي تسجلت في تاريخنا بالدماء . وشعبنا يكافح وهدفه

الاول هو الحرية : حريته وحرية الجميع .

هـ. ج. ولز الانكليزي

وقال الكاتب الانكليزي الشهير هـ. ج. ولز في محاضرته التي افتتح بها سلسلة المحاضرات من محطة لندن عن تنظيم العالم بعد الحرب : « لا اريد ان اعين شكلاً لتنظيم العالم بعد الجزرة منذ الان ، فقد لا يكون هذا في استطاعة احد . على اني اقطع بان مذهب العرقية لا يصح اساساً لبناء عالمي عادل وطيد . وليس هذا المذهب الا ستاراً لاناس طفيليين ينوون الحياة على حساب غيرهم فهم يستّرون هذه النية الخبيثة بضباب الفلسفات والمذاهب . وانا واثق بان يد العلم قد وسعت الافاق امام الناس جميعاً بحيث يستطيع ان يعيش حياة حرة مكفية كل فرد وكل بلاد وكل قوم دون ان يحس فريق بضياع حقوقه المعقولة »

تسو - شوي الصيني

وقال الكاتب الصيني « تسو - شوي » في كتابه الذي صدر مؤخراً : « تاريخ الحضارة الصينية » :

« للانكليز مثل يجب ان يكون للصينيين الا وهو : عش ودع غيرك يعيش ! نحن امة مسالمة ، ولكننا نعرف ان نقاتل ، ونقاتل طويلاً ، من أجل الحرية . والحرية هي الحرية ؛ لا استبدال قيد بقيد ! . »

« ملك راج اناند » الهندي

وقال الكاتب الهندي « ملك راج اناند » ، وهو كاتب شهير باللغة الانكليزية : « تنظر الهند الى جراحها وتنظر الى جراح العالم ايضاً . وتعرف الشر الاصغر وتعرف الشر الاكبر . وتريد العالم الذي قل الشر فيه ما امكن . ولها مفهوم واحد بالرذيلة سواء أكان ذلك في نطاق الاخلاق والاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة . الرذيلة هي العبودية وما اشتق منها »

الكسي تولستوي الروسي

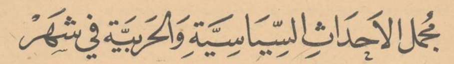
وقال الكسي تولستوي ، كاتب روسيا الكبير : سيكون هنالك عالم بعد الحرب . وسيكون نظيفاً من الفاشستية . هذا كل ما نستطيع ان نقوله . وهو كثير ! »

تطلب مجلة « الاديب »

بيروت	من	السيد خضر النحاس وعموم الباعة
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد يوسف بو ديب
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
عاليه	«	مكتبة السيد نجيب سلمان
زحله	«	« السيد جوزف مطران
بعلبك	«	« السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	« السيد عبد السلام السباعي
		« السيد توفيق الشامي
دير الزور	«	السيد اديب ملوح
اللاذقية	«	« السيد حنا نصره
		« عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد متزلجي
طرطوس	«	« الاستاذ صالح علي
حلب	«	« السيد جان رزق‌الله كردي
الباب	«	« الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
يافا	«	« السادة حنا وجورج بوري
حيفا	«	« السيد توفيق زعبلاوي
نابلس	«	« السيد ماجد القطب
فلسطين عامة	«	عموم المكاتب والباعة
بغداد	«	مكتبة السيد عبد الكريم زاهد وفروعها
الموصل والبصره		
مصر	«	عموم المكاتب والباعة

وهي تباع : في سوريا ولبنان بـ ٧٥ غرشاً لبنانياً في العراق بـ ٦٠ فلساً في فلسطين بـ ٨٠ ملاً وفي مصر والسودان بـ ٥ غروش مصرية

الادارة بحاجة الى وكلاء في سائر الجهات



دوبلن – ١ – تحدث المونسنيور سبلمان الى السيد دي فاليرا رئيس ايرلندا .

لوغانون – فرّ من أحد معتقلات ايطاليا قائدان نيوزيلنديان ووصلا الى سويسرا.

لندن – قال الراديو الالماني : « لم يتخلّ العدو بعد عن فكرة الغزو ، ولا يزال عازماً على فتح ميدان حربي جديد في اوروبا . وحليفتنا ايطاليا يهدّدها العدو على الابواب » .

بوغوتا – وقعت كولومبيا وفنزويلا الاتفاق النهائي حول حدودهما المشتركة .

شيكاغو – قال مدير الانتاج الحربي العام ان الولايات المتحدة ستصنع هذه السنة ٩٠ الف طائرة .

لندن – ان هيئة النقليات التي شكلت لنقل العتاد والتموين عبر ايران استعادت الاشراف على السكة الحديدية عبر ايران التي كان يشرف عليها الجيش البريطاني حتى الآن . وقد وصل اول قطار اميركي ينقل عتاداً اميركياً معداً لروسيا بعد ان اجتاز ١٠٥٠ كيلومتراً قياماً من احد مرافي الخليج الفارسي

واشنطن – صرّح الرئيس روزفلت بقوله : خلال المحادثات بينه وبين السيد ايدن حصل انسجام تام في وجهات النظر بين وشنطن ولندن كما تحقق التفاهم على الوجه الاكمل . واشار الرئيس الاميركي الى ان تفاهماً تاماً واتفاقاً عاماً يقومان بين الحلفاء حول ٩٥ ٪ من القضايا .

نيورك – بلغ مجموع ما ارسلته اميركا من المواد الغذائية الى افريقيا الشمالية ما قيمته ٢٦ مليون ليرة وذلك خلال شهر كانون الثاني فقط .

لندن – ٢ – تفيد التايمس ان السادة بول رينو ومانديل وبلوم موجودون الان في سجن كونيكسبورغ في بروسيا الشرقية .

لندن – تقدّر حمولة البواخر التجارية الالمانية التي أغرقت أو صودرت منذ بدء الحرب بثلاثة ملايين و٣٥٦ الف طن . وفقدت ايطاليا اربعة ملايين و٢٧ الف طن والبلاد التابعة للمحور ٦٢٢ الف طن . هذا عدا ما أغرقه الروس . اما اليابانيون فقد فقدوا ١٨٥٧٠٠٠ طن .

موسكو – قبلت الحكومة الروسية دعوة حكومة الولايات المتحدة بارسال من يمثلها في مؤتمر الأمم المتحدة لمواجهة قضايا التموين بعد الحرب .

اوتاوا – توجه السيد ايدن الى الشعب الكندي من الراديو فقال ان انكلترا ستواصل الحرب حتى تجريد المانيا وايطاليا واليابان من السلاح تجريداً تاماً . من أجل ذلك يجب التعاون الوثيق بين جميع الامم المتحدة . وسنربح الحرب كما سنربح السلم . من واجبنا أن نضع بين ايدي ابنائنا عالماً تستطيع الحرية أن تعيش فيه وكل دولة ان تحكم نفسها بحرية.

لندن – انتهت المرحلة الأولى من معركة تونس الجوية بظفر الحلفاء

موسكو – نشرت القيادة السوفيتية بلاغاً خاصاً جاء فيه انتهت الجيوش الروسية من حملة الشتاء ضد القوات الجرمانية – الفاشستية . وقد ألحق الجيش الأحمر خلالها بالجيش المحوري هزيمة لا مثيل لها في التاريخ العسكري .

لندن٣ – اذاع راديو الجه رسالة مفتوحة الى لافال ينذره فيها بان فرنسا نفضت عنها الاكفان . « والجنود الذين جرّدهم لافال من الجنسية الفرنسية يتمتعون بصحة طيبة وهم يقاتلون الى جانب الحلفاء »

لندن – دخلت القوات الفرنسية المحاربة القادمة من التشاد الى قابس مع النيوزيلانديين .

لندن – تدور ثلاث معارك هائلة من أجل رقبات جسور على الدونتز الاعلى والدونتز الأوسط والكوبان. ولا تتوقف الاعمال دقيقة واحدة .

لندن –٥– قام الطيران البريطاني بغارة كاسحة وشاملة على ايسن. فوقعت الاضرار الجسيمة باقرار الراديو الالماني. وقد قذفت ٩٠٠ طن من القنابل

القاهرة – سيرأس السيد كازاي ، وزير الدولة البريطانية في الشرق الأوسط مؤتمراً هاماً يضم ممثلين عن جميع بلدان الشرق الأوسط لمواجهة مشكلة التموين بواسطة النقليات في كل هذه المنطقة . لندن – صرح الملك بطرس اليوغسلافي بقوله : يوم ينزل الحلفاء في البلقان سيجدون الشعب اليوغوسلافي متأهباً تماماً لمساعدتهم في مهمة طرد المجتاح . لندن – عاد السيد ايدن الى انكلترا بعد زيارته للولايات المتحدة وكندا . ومن المحتمل أن تعقب زيارة السيد ايدن لاميركا زيارة السيد سمنر ولز لبريطانيا العظمى .

جنيف – استرد الانصار اليوغوسلافيون مدينة « غلاماتش » في بولنيا ويدور القتال على جبهة طولها ١٥٠ كيلومتراً

لندن – طلب الجنرال ايزنهاور الى الجنرال ديغول أن يرجيء سفره الى افريقيا الشمالية .

القدس –٧– مرت بفلسطين بعثة تركية عسكرية مؤلفة من ١٣ ضابطاً وهي بطريقها الى مصر ومنها ستلحق بالبعثة العسكرية التركية الاولى الموجودة في افريقيا الشمالية . لندن٨ – استقبل المستر تشرشل الجنرال ديغول وابلغه ان بريطانيا متفقة مع الجنرال ايزنهاور في وجهة النظر فيما يتعلق بتأجيل رحلة الجنرال ديغول الى الجزائر . واشنطن – قرر مجلس الدفاع في بوليفيا اعتبار بلاده بحالة حرب مع دول المحور من الان الى ان يعقد الكونغرس اجتماعه ويوافق على ذلك رسمياً . واشنطن٩ – طلب الرئيس روزفلت من الكونغرس اقرار اعتماد بمبلغ ٢٤ ٥٥١ ٠٧٠ ٠٠٠ دولار للاسطول لسنة ١٩٤٤ المالية . زوريخ١٠ –حصل اجتماع بين موسوليني وهتلر في ممر البرنر وقد حضره عدد من رجال الدولتين المانيا وايطاليا .

زوريخ – تجمع التقارير الواردة من فرنسا وايطاليا على ان حركة اخلاء شديدة تجري في صقلية وسردينيا تحت اشراف الالمان وقد القي القبض على اربعماية شخص في صقلية وخمسماية شخص في سردينيا . واشنطن – ينفق الشعب الاميركي ٢٣٨ مليار دولار لتنفيذ اعظم برنامج حربي عرفه التاريخ وقد خصص مبلغ ٤٤ مليار لانتاج الطائرات والسفن الحربية والمهات البرية والاجهزة الميكانيكية والمواد اللازمة للحرب الكيماوية والسفن التجارية وغيرها .

الجزائر – ١١ – سافر الجنرال كاترو من الجزائر الى لندن لكي يبلغ الجنرال ديغول نتيجة محادثاته مع الجنرال جيرو واللجنة الوطنية ثم يدرس الظروف التي تمكن من الوصول الى اتحاد جميع الفرنسيين الذين يحاربون بجانب الحلفاء في اقرب وقت مستطاع .

ستوكهلم – تقول الانباء الالمانية ان الروس يطوقون مدينة نوفوروسيسك ، ويسيطرون سيطرة تامة على الضواحي الجنوبية من المدينة .

لندن – ١٣ – قالت « الدايلي اكسبرس » ان روميل اخذ يرحل كبار رجاله الفنيين عن تونس وان طائرات النقل الكبيرة تعمل ليلاً بين مسينا وصقلية وقواعد المحور في تونس ، واضافت الجريدة بان طائرات الحلفاء اسقطت عدداً غير قليل من طائرات النقل المحورية .

برن – اذاع راديو فيشي انه على اثر المحادثات التي جرت بين لافال وسيوكل سيطلق سراح ٢٥٠ الف اسير فرنسي ولكن لا يسمح لهم بالرجوع الى فرنسا بل يقيمون في المانيا كعمال احرار . القاهرة – وصل الجنرال كوليه ترافقه السيدة عقيلته الى مصر ليقضي فيها بضعة ايام .

القاهرة – ١٤ – تألفت لجنة لجمع التبرعات لانشاء ناد يهدى الى الجيش الثامن وجميع الاسلحة المحاربة في الجو او البحر تمجيداً لذلك الانتصار الذي احرزته في الصحراء وسيطلق على النادي اسم « نادي العلمين » على ان يظل رمزاً لاولئك الذين خاضوا موقعة الحرية وحاربوا بشجاعة واقدام .

وستمنستر – ١٥ – قدم وزير خزينة الدولة السير كنجزلي وود للبرلمان اضخم واكبر موازنة عرفتها بريطانيا في تاريخها فقد بلغ مجموعها ستة آلاف مليون جنيه استرليني وكانت مصروفات العام الماضي ٣٣٠ مليون جنيه استرليني وقال ان بريطانيا انفقت ١٥٠٠ مليون جنيه في الولايات الاميركية المتحدة على المؤن والذخائر والمهمات الرئيسية منذ بدء الحرب وان قيمة ما ارسل الى روسيا من الذخائر بلغت ١٧٠ مليون جنيه .

الجزائر – ١٦ – ابرق مراسل روتر من مقر قيادة الحلفاء في افريقيا الشمالية يقول ان الجيش الثامن وحده اسر اكثر من عشرين الف اسير محوري منذ عشرين اذار الماضي الى اليوم . واذاع راديو الجزائر بان فرقة فكتوريا الايطالية قد اسرت كلها لان الالمان سرقوا وسائل النقل منها .

جنيف – ١٧ – اقفلت المفوضية السعودية في فيشي وينتظر ان يرى ممثل فيشي في جده نفسه امام امرين اما العودة الى فرنسا او الانضمام الى الجنرال ديغول وقد عين فؤاد حمزه ممثل ابن السعود في فرنسا وزيراً مفوضاً للمملكة السعودية في انقره .

بيروت – اعلن سكرتير المؤتمر الطبي الذي تقرر عقده في بيروت بين ١٠ و ١٣ تموز القادم بان اللجنة التحضيرية قد انتهت من وضع برنامج المؤتمر وبعثت به الى سكرتيرية الجمعية الطبية بالقاهرة للتصديق عليه واعلن بان السلطات المختصة اعربت عن رغبتها في تسهيل التأشير على جوازات سفر اعضاء المؤتمر وعائلاتهم وان الحكومة اللبنانية تستعد لاستقبال الاعضاء بما يليق بمقامهم .

لندن – ١٨ – اكد مراسل روتر في زوريخ النبأ القائل ان روميل ترك صقلية الى المانيا ومعه الجنرال امبروزيو رئيس اركان حرب الجيش الايطالي واذاع راديو الجزائر ان جيش روميل نقص اكثر من ثلثه في الرجال والعتاد بعد احتلال الحلفاء قابس .

انقرة – ١٩ وصل الجنرال ولسن قائد القوات البريطانية في الشرق الاوسط الى انقره وقد قابل كبار رجال الجمهورية التركية .

نيويورك – اعلن المستر كوردل هول تعليقاً على الاشاعات القائلة بان اسبانيا ابدت استعدادها للتوسط بمفاوضات الصلح بأن اميركا والدول الحليفة لن تقبل باي صلح الا اذا تم دون قيد او شرط . لندن – ٢٠ – هتفت هتافات عالية للمستر تشرشل عندما اعلن في مجلس العموم انه بسبب الظروف الجديدة يسمح بقرع الاجراس اعتباراً من عيد الفصح .

مكسيكو – ٢١ – اجتمع الرئيس روزفلت ورئيس المكسيك كاماتشو في قطار الرئيس روزفلت الخاص في موتري وتناول حديثهما الاحداث العسكرية والتعاون بين الجمهوريتين . لندن – شن الطيران البريطاني غارة شاملة وكاسحة على ستيتن وروستوك . والاضرار جسيمة .

لندن – نقل ليون بلوم الى احد معسكرات الاعتقال الالمانية . بغداد – ٢٢ – توجه الوصي الامير عبد الاله الى القدس حيث تجري عملية للملكة الام .

لندن – نشر المقر العام لفرنسا المحاربة ردود اللجنة القومية على المقترحات الواردة في مذكرة الجنرال جيرو . وقد حمل الجنرال كاترو تلك الردود معه الى الجه حيث يتباحث فيها ويدرسها الآن رؤساء ادارة الجنرال جيرو .

القاهرة ٢٣ – دعا السيد كايزي ، وزير الدولة البريطانية ، رجال الصحافة فتحدث اليهم عن رحلته الاخيرة الى الشرق الأوسط . وقد صرح بأن موسم الحصاد الذي أمسى قريباً جداً سيكون أحسن المواسم التي عرفتها بلاد الشرق الأوسط حتى الآن .

القاهرة – قدم معالي احمد حسنين باشا استقالته من رئاسة الديوان الملكي ، وقد تفضل جلالة الملك فاروق فطلب منه الاستمرار في رئاسة الديوان

موسكو – ٢٤ – روت جريدة النجم الاحمر ان مدينة تونسيت قد تحولت الى كومة من نار بعد ما هاجمها الطيران السوفياتي ليلة الـ ٢١ نيسان .

لندن – أثار اعدام الطيارين الاميركيين استياء عاماً في الولايات المتحدة . والشعب الاميركي يطالب بزيادة الغارات على اليابان .

لندن – يزداد الاقبال في لندن على الكتب التي لها علاقة بالشرق الاوسط ، كما يزداد تهافت القراء في المكاتب العمومية على المؤلفات التي تعالج شؤون الشرق . وهنالك اهتمام متزايد ايضاً بالآداب الحديثه في تركيا والمملكة السعودية العربية والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين ، وبروايات الرحلات الى الشرق الاوسط . الفاتيكان – ٢٦ – أقام الاب الإقدس قداس الفصح بحضور اعضاء السلك القنصلي المفوضين لدى الكرسي الرسولي ولم يلق اي خطاب فصحي خلال الذبيحة الالهية . ستوكهلم – لا تزال الصحف الفنلندية تبدي قلقها حيال انسحاب الهيئة الدبلوماسية الاميركية من هلسنكي عدا المكلف بالاعمال . القاهرة – وجه النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية رسالة تهنئة الى الجنود البريطانية وسائر الحلفاء .

موسكو – ٢٧ – أذاع راديو موسكو ان الحكومة السوفياتية قررت قطع العلاقات الديبلوماسية مع الحكومة البولونية . وقد سلم الرفيق مولوتوف للسفير البولوني في ٢٥ نيسان مذكرة جاء فيها ان حكومة موسكو لا يسعها ان تبقى على العلاقات الديبلوماسية مع الحكومة البولونية ، بعد ان اخذت هذه الحكومة بالاراجيف الالمانية بشأن اعدام عدد من الضباط والجنود البولونيين في منطقة سمولنسك .

القاهرة – ٢٨ – ان الغارة التي شنتها الطائرات الحليفة نهار الاثنين الفائت على باري المدينة الايطالية انما قام بها اعظم سرب من طائرات الليبراتور في ميادين الشرق الاوسط ويصرح المقر العام لقيادة الطيران الاميركية بأن باري هذه قد امحت من الخارطة .